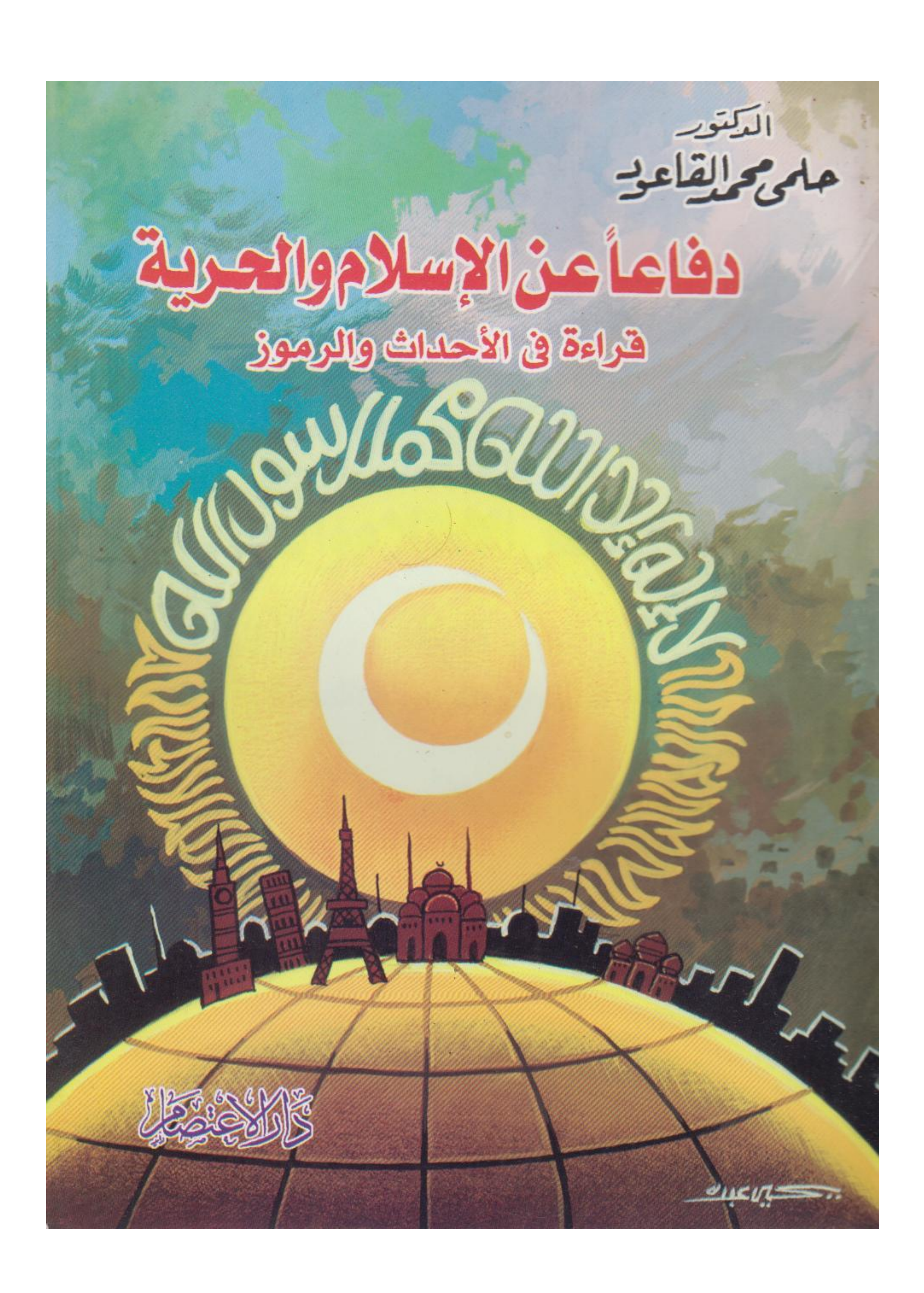

الدكتور
حلمي محمد القاعود
دفاعاً عن الإسلام والحرية
قراءة في الأحداث والرموز
دار الاعتصام

الدكتور
حلمى محمد القاعود

# دفاعاً عن الإسلام والحرية

## قراءة
## فى الأحداث والرموز والأفكار

دار الاعتصام

# الإهداء

إلى :

محمود حلمى

طفولتى البعيدة .. وأحلامى القديمة .

( أبوك )

# استهلال

نحمد الله حمد الشاكرين الصابرين ، ونستعينه - جل وعلا - استعانة الفقراء المحتاجين ، ونصلي ونسلم على عبده محمد بن عبد الله خير أنبيائه وخاتمهم ، وقدوة البشر فى الأخلاق والسلوك . اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأنصاره وأتباعه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فهذه كلمات كتبتها فى العامين الماضيين ، مواجهة لأحداث ورموز وأفكار ؛ استهدفت ديننا وحريتنا وهويتنا ، مسلّحة بجسارة المعتدين ، وتوحُش القراصنة ، فى وقت طغت فيه المصالح الأنانية ، والمنافع الذاتية على الكثيرين فى شتى المستويات ، بحيث أضحى الدين والوطن والكرامة ، مفردات باهتة ، وعناصر غائمة ، لا معنى لها ، وخاصة فى أذهان الجيل الجديد ، الذى نجح الأشرار فى تفريغه من الضمير الإسلامى والثقافة الإسلامية ، والإحساس الخلقى والشعور الإنسانى ، فرأينا من يرى التعايش مع العدو فضيلة ، والتسليم له بمقدساتنا إنسانية ، والتفريط فى حقوق المسلمين خلقًا رفيعًا ..! بل من المؤلم الذى يقتل ويُضنى أن تسمع عن شباب يذهب إلى فلسطين المحتلة من أجل العمل ، فيسهم فى إقامة المستعمرات اليهودية للمحتلّين الأوغاد على أكتافه وبسواعده (!!)

إن عملية التسطيح والتزييف والتخريب والتضليل تمضى على قدم وساق ، وتشارك فيها بعض العناصر التى تحمل أسماء إسلامية عربية دون حياء أو خجل ، حتى بات الإحباط سمة عامة ، واليأس طابعًا أساسيًا .. ووضع المسلمون المستباحون الضائعون جلّ اهتمامهم فى البحث عن الرغيف ولو كان فى يد العدّو المتوحّش ، ونام الحديث عن القيم والعقيدة

والأخلاق والمثل العليا والبطولة والوطنية والحرية والمقدسات .. وإذا استيقظ قليلاً فهو نشاز فى سياق السبات العميق الذى تعيشه الأغلبية الساحقة المقهورة المحرومة من الأمل والحلم !

ومن ثمّ ، كانت هذه الكلمات التى يضمها هذا الكتاب مواجهة متواضعة للتردّى والانهيار الذى تسرع إليه الأمة بخُطًا واسعة ، دون أن تعبأ بهول المصير أو بشاعة الكارثة ..

لا ريب أن الأمة تضم أقلامًا طاهرة كثيرة تواجه التردّى والانهيار .. ولكن هل يُكتب لها النجاح أمام السيل العرم من العدوان المتوحش المسلح بأحدث آلات التقنية والمال والخبرة ؟

الله وحده أعلم ، ولله فى خلقه شئون ، وهو القادر أن يغيّر ولا يتغير .. وهو القائل : ﴿ ...وَلَا تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ من رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْـقَوْمُ الْـكَافِرُونَ ﴾ [ يوسف : ٨٧ ] .

وهو القائل جلّ وعلا : ﴿ ... فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْـمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْـكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [ المائدة : ٥٤ ] .

لقد صار الإسلام كلمة مريبة فى بلاد الإسلام ، ويراه البعض أخطر من المخدرات والسرقة والقتل والدعارة ! ويسميه البعض « الإظلام » ويضعه البعض رديفًا للتخلف والجمود ، والقرون الوسطى ، والكهنوت ، وصكوك الغفران والحرمان !!

لذا أُفرغت مناهج التعليم ( عمليًا ) من جوهر الإسلام ومضمونه ، وإن بقى شكلٌ لا يشكّل نفسًا ولا يملأ وجداناً ولا يربىّ إنساناً ، ولا يفتح أبواب المستقبل للأمّة .. ولعلّ هذا يفسّر ما نعيشه من هوان وإحباط وانبطاح !

لا مفرّ أمامنا من استعادة الإسلام عقيدة وشريعة ، دنيا وآخرة ، مسجدًا ومصنعًا ، صلاة وعملاً ، قيامًا وجهادًا ، حتى يعتدل الميزان ، وتبحر السفينة بلا ثقوب فى ضوء النهار !

إذا نجحت كلمات هذا الكتاب في التعبير عن هذا المعنى ، فالحمد لله أولًا وآخرًا .. وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والعافية ، وهو مولاى ونعم النصير .

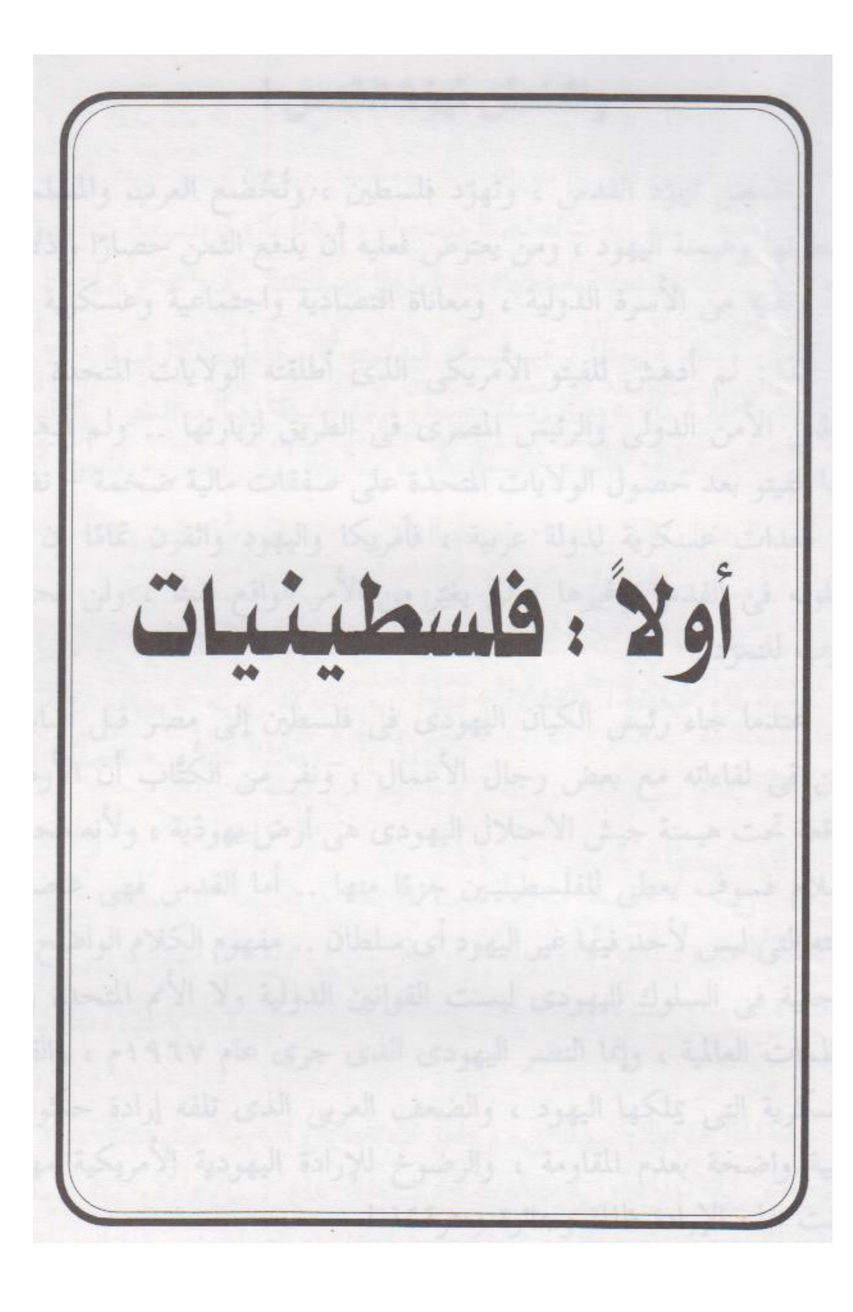
بقيت الإشارة إلى أن هذه الكلمات نُشرتْ من قبل فى صحف عديدة ، ولكنها استبيحتْ أو استبيح معظمها عند النشر ، بالحذف أو التغيير ، بدءًا من العنوان حتى المتْن .. وعندما تكون ضيفًا على صحيفة ، تتفضّل عليك بنشر كلماتك ، ولست واحدًا من محرّريها ، أو واحدًا ممن تتعاقد معهم وتجزل لهم المكافأة ، فلا يحقّ لك أن تغضب أو تحتج ، فالقوم لهم عذرهم ، ويتحركون فيما يسمى فى عصرنا بـــ « المواءمات » ، فضلًا عن أن هناك ما يسمى بضرورات النشر التى تفرضها المساحة ، وتقتضى أحيانًا اختصار الموضوعات أو اجتزاءها على العكس من الكتاب الذى يتيح لك أن تقول ما تريد ، فى المساحة التى تريد ، بالطريقة التى تريد .

هناك من الكلمات ما لم ير النور من قبل ، لأن الصحف رفضت نشرها لسبب أو آخر ، وفى هذا الكتاب أقدم ما كتبت فى صورته الأصلية ، بالإضافة إلى ما حُجب عن النشر ، ولم يطالعه القراء من قبل .

أسأل الله التوفيق فى القول والعمل ، وأن يتجاوز عن سيئاتنا وقصورنا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا الهادى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

**حلمى محمد القاعود**

أبو المجد فى ١١ من ربيع الآخر ١٤١٨ هـ
١٥ من أغسطس ١٩٩٧ م



# أولاً : فلسطينيات

# واشنطن تهوّد القدس !

واشنطن تهوّد القدس ، وتهوّد فلسطين ، وتُخْضع العرب والمسلمين لسيطرتها وهيمنة اليهود ، ومن يعترض فعليه أن يدفع الثمن حصارًا وإذلالاً أشدّ ونفْيًا من الأسرة الدولية ، ومعاناة اقتصادية واجتماعية وعسكرية .

لذا : لم أدهش للفيتو الأمريكى الذى أطلقته الولايات المتحدة فى مجلس الأمن الدولى والرئيس المصرى فى الطريق لزيارتها .. ولم أدهش لهذا الفيتو بعد حصول الولايات المتحدة على صفقات مالية ضخمة – نظير بيع معدات عسكرية لدولة عربية ، فأمريكا واليهود واثقون تمامًا أن ما يفعلونه فى القدس وغيرها ، لن يغيّر من الأمر الواقع شيئًا ، ولن يحرّك العرب للتمرّد !

عندما جاء رئيس الكيان اليهودى فى فلسطين إلى مصر قبل أسابيع أعلن فى لقاءاته مع بعض رجال الأعمال ، ونفر من الكُتّاب أن الأرض الواقعة تحت هيمنة جيش الاحتلال اليهودى هى أرض يهودّية ، ولأنه محبّ للسلام فسوف يعطى للفلسطينيين جزءًا منها .. أما القدس فهى عاصمة دولته التى ليس لأحد فيها غير اليهود أى سلطان .. مفهوم الكلام الواضح أن المرجعية فى السلوك اليهودى ليست القوانين الدولية ولا الأمم المتحدة ولا المنظمات العالمية ، وإنما النصر اليهودى الذى جرى عام ١٩٦٧م ، والقوة العسكرية التى يملكها اليهود ، والضعف العربى الذى تلفه إرادة حكومية عربية واضحة بعدم المقاومة ، والرضوخ للإرادة اليهودية الأمريكية مهما كانت هذه الإرادة ظالمة وجائرة ومتوقحّة !

إن اليهود والأمريكان واثقون من :

١ – القوة العسكرية اليهودية تفوق القوة العسكرية العربية والإسلامية

مجتمعة ، من ناحية الكمّ والكيف .. فضلًا عن الاحتياطى العسكرى الأمريكى المستعدّ دومًا للإمداد .

٢ - القدرات النووية لليهود وقد بلغت حسب بعض المصادر ثلاثمائة قنبلة نووية كفيلة بردع العرب والمسلمين من المغرب إلى إندونيسيا ؛ بالإضافة إلى القدرات الكيماوية والدفاعية ، وأحدث النجاحات فى هذا السياق تفوق الصاروخ « آرو ٤ » فى التصدى للصواريخ الهجومية قصيرة المدى .

٣ - البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، المتميزة بالقوة والتوازن والاستقرار ، يضاف إليها عقيدة دينية راسخة لدى اليهود بأن « مملكة داود » آتية لا محالة من النيل إلى الفرات ، وأن المسألة مسألة وقت .

٤ - الهيمنة الأمريكية - وربما اليهودية - على المقدرات السياسية والاقتصادية فى معظم الدول العربية والإسلامية ، وضمان الحصول على البترول ، وأكثر عائداته بصورة وأخرى ، واعتقاد الكثيرين من العرب بأن الأمريكان واليهود طريق الأمان من أطماع الأشقاء الحقيقية والموهومة ، وسبيل النجاة من تمرّد الشعوب أو تململها .

وتعلم أمريكا واليهود أن :

١ - القدرات العسكرية العربية تتجه أساسًا لحماية كراسى الحكم والعروش ، ومواجهة الأشقاء ، وليس لحماية الحدود والأوطان ، وردّ الأعداء ، فاليهود فى أمان وسلام واطمئنان ، والقدس عاصمتهم الأبدية والموحّدة كما أعلنوا !

٢ - الشعوب العربية والإسلامية تُعانى من القهر والهزيمة الداخلية ، ولا حول لها ولا طول ، وقد نجحت الحكومات فى تحويلها إلى شعوب باحثة عن الطعام ، أو باحثة عن المتعة ، وبين الجوع والتخمة ضاعت القضايا المصيرية ، لأن مصير من يبحث عن هذه القضايا معروف .

٣ - التعثّر الذى تعيشه الأمة العربية الإسلامية ، مع غناها وثرواتها

الطائلة وإمكاناتها الضخمة لن يحقق لها بنية مستقرة ، ولا حياة سياسية حقيقية تتيح لها الخروج من واقعها المتردّى ، ومن ثمّ ، نجد المفارقة الواضحة فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الملموس الذى تحققه دولٌ أقل من العرب ثروة وإمكانات ، والمراوحة فى المكانة التى تعيشها دول العرب والإسلام .

٤ - الأمة العربية الإسلامية محرومة من التعبير عن هويّتها وقيمها ، مما يعنى تبعيتها الدائمة للغير .. ولعل محاربة الإسلام والتديّن تحت مسمّيات شتى ، بل واستئصاله فى بعض البلدان يؤكّد على قعود الأمة ، بل رقدتها الطويلة فى غيبوبة زمنية لا تسمح لها بمواجهة التهويد وتجلّياته فى القدس أو غيرها .

إذا كان اليهود والأمريكان يثقون فى حقائق الأمر الواقع ، ويعلمون طبيعة الحياة العربية الإسلامية ، فإن الأمل فى انجلاء الغمّة بعيد .. بعيد جدًا ، لأن فقدان الإرادة لتحقيق الأمل معناه استمرار الأمر الواقع وتفاقم سلبيّاته .. وقد علّمنا القرآن الكريم أن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مردّ له ، وما لهم من دونه من وال .

لقد استطاع العرب - بفضل الله - أن يقلبو الموازين فى حرب رمضان ، وهم يستطيعون اليوم - لو أرادوا - أن يكرّروا ما جرى فى رمضان ، شريطة أن يتصالحوا مع الله ، ثم مع أنفسهم ، وأن يجاهدوا فى الله حق جهاده ، ويأخذوا بالأسباب ، فالمنتصر اليهودى وظهيره الأمريكى لا يعرفان غير مرجعية القوة .. القوة بكافة أشكالها ، وما عداها فشىء آخر لا قيمة له ، وآمل أن يتوقف « أهل كوبنهاجن » عن اتهام مخالفيهم بعدم التحضّر ؛ لأن اليهود يعشقون القوة ويقدّسونها ، والعرب يدمنون البكاء على أعتاب مجلس الأمن والكنيست اليهودى .

* * *

# معذرة إليك يا زهرة المدائن!

لم يعبأ رئيس الكيان اليهودى فى فلسطين بأى منطق أو أى أحد ، وأصدر قراره بالاستيطان فى مدينة القدس القديمة ، وإقامة مستعمرة سكنية لليهود .. وفى الوقت ذاته أعلن حالة استنفار بين جنود جيش الدفاع وقوات الأمن فى المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية ؛ لمواجهة الاحتجاجات من جانب الشعب الفلسطينى الأعزل .. وقبل إصدار القرار وبعده ، كان سيادته يلقّن الحكام العرب دروسًا فى كيفية التعايش مع ( جيرانهم ) ، ويذكّرهم بأنه سيّد فلسطين والمنطقة ، وأنه يبنى مستعمراته فى أى مكان دون أن يحتاج إلى إذن أو تصريح من أحد أيًا كان هذا الأحد .. وأضاف أنه إذا حدثت حركة احتجاج من جانب الفلسطينين ، فهذا يعنى وقف مفاوضات ما يسمى بـ « السلام » !

على الجانب الفلسطينى ، فإن الشعب الأسير يشعر أنه يقف وحده عاريًا من كل حول وطول ، ظهره إلى الحائط ، مقيّدًا من حكامه المحليّين الذين يُطلق عليهم السلطة الوطنية ، مخذولًا من « الأشاوس والنشامى » على امتداد الأرض العربية من المحيط إلى الخليج .

بالطبع .. تصوّر « الأشاوس والنشامى » أن مجلس الأمن سيصنع لهم شيئًا ، فطلبوا انعقاده لبحث الوضع فى القدس المحتلة ، وقيل : إن المجلس سينعقد بعد أسبوع ، ونسى القوم أن اليهود لم ينفذوا قرارًا واحدًا أصدره مجلس الأمن أو جمعيته العامة منذ عام ١٩٤٧م حتى اليوم .. وإذا نفذوا انسحابًا أو وقفًا لإطلاق النار أو تراجعوا عن قرار ، فإن ذلك يتم وفقًا لإرادتهم وبشروطهم هم لا شروط الأمم المتحدة ولا العرب .

الصديق الأمريكى وراعى ما يسمى « عملية السلام » ، تطوع وأعرب عن « القلق » ، وطلب من الفلسطينيين « ضبط النفس » (!!) بقية العالم فى شغل شاغل عن المهزومين ومشكلاتهم مع اليهود ، وفى الوقت ذاته تعجب بقوة اليهود وانتصاراتهم على مائتى وخمسين مليونًا من العرب ، وتفوقهم فى مجالات عسكرية وسياسية واقتصادية وعلمية !

التصريحات الخافتة الذليلة التى صدرت من بعض العواصم العربية ، عبّرت عن خيبة كبرى ، وليتها ما صدرت ، لأنها تجسّد المذلّة والعار ، وتؤكد على بقاء عصر الهزيمة وامتداده إلى حيث يعلم الله وحده متى ينتهى !

**قيل لنا** : القدس خط أحمر ! ولكن اليهود اقتحموه وتجاوزوه ، وضربوا عرض الحائط بكل قرار واتفاق وميثاق !

**قيل لنا** : القدس أرض محتلة وفق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، ولكن اليهود قالوا : إنها عاصمتهم الدائمة والأبدية والموحّدة شرقًا وغربًا .

**قيل لنا** : القدس موضوع تفاوض فى المرحلة النهائية وفقًا لما يسمى اتفاق « أوسلو » ، ولكن اليهود أعلنوا أنها أرض قومية ، ولا يمكن التفاوض حولها ، وطلبوا مما يسمى السلطة الفلسطينية إغلاق المؤسسات والمكاتب الفلسطينية التى قيل إنها تمارس نشاطًا سياسيًا .. ونفذت السلطة الفلسطينية ما طلب منها !

القدس الآن تدخل دائرة المحاق ، لتتلاشى فى ظلام الاحتلال اليهودى لفلسطين ، والعرب يتفرجون ، والمسلمون غافلون ، ومنظمة التحرير مشغولة بتعذيب المعارضين وقتلهم ، واستئصال الفصائل الفلسطينية التى ترفع شعار الإسلام ، ومنع الكتب التى تكشف للفلسطينيين والعرب ( كتب ادوارد سعيد على سبيل المثال ) التفريط والخيبة والاستسلام !

اليهود يصنعون ما يشاءون مع مباركة أمريكا والعالم الغربى ، وصمت

لجنة القدس التى أنشأها مؤتمر القمة الإسلامى !

الحكومات العربية مشغولة باستضافة حكام اليهود ومندوبيهم ، والهرولة سرًا وجهرًا لكسب رضاهم ومباركتهم ، ويعلن « جدعون عزرا » من الليكود على الملأ ومن إذاعة لندن : أن اسم « القدس » لا وجود له ، وأن اتفاقيات « أوسلو » أقرّت ذلك !! ويتأكد اليهود أن أحدًا فى الصحراء العربية الصامتة لن ينطق .. أى لن يفعل أحد شيئًا يوقظ اليهود من النوم الجميل والأحلام العذبة بمملكة داود .

إذا كانت الحمية الدينية قد ماتت ، والنخوة العربية قد تلاشت ، والرجولة الوطنية قد ضاعت ، فهل ننتظر من اليهود غير ما يفعلون بالقدس وغير القدس ؟

هل هى مصادفة بحتة أن يفقد العرب والمسلمون حريتهم فى ظل حكومات عربية إسلامية ؛ وفى الوقت نفسه يفقدون قدسهم ومقدّساتهم ، وأرضهم وثرواتهم ، ويعيشون أسرى للإرادة اليهودية والمشيئة الغربيّة ؟

ثم هل هى مصادفة أن نجد عددًا ممن يسمّون أنفسهم بالمثقفين المعبّرين عن الأغلبية يطلبون من الشعوب العربية أن تكفّ عن الكراهية وعقلية الحرب ، وتتعايش مع الجيران اليهود وفقًا لشروطهم التاريخية والأسطورية ؟ وكأنّ الشعوب العربية هى التى ترفض التعايش وتصنع الحرب وتدعو إلى الكراهية ؟ أى منطق مقلوب !! وأى عصر نعيشه !! وأى مستقبل مجهول ينتظرنا ؟!

معذرة إليك يا صلاح الدين .. ومعذرة إليك يا زمان العقل والمنطق الذى يبدو أنه لن يعود قريبًا .. ومعذرة إليك يا زهرة المدائن فقد متنا بعد صلاح الدين !!

* * *

## رسالة إلى الزائر المرفوض المكروه :

# القدس ليست للبيع !

عندما أكتب إليك ، فإنى أريد أن أنقل مشاعر جيل عربى يجايل جيلك الذى تربّى على أرضنا المقدّسة المغتصبة ، وأتيح له أن يقهر أمتنا بالحديد والنار والخديعة والفتنة ، فتاه فى الأرض خيلاء وعربدة ، غطرسة واستكبارًا .. ثم تصوّر أنه لا يعرف غير إملاء الشروط وفرض الأوامر ، وعلى الآخرين من العرب خاصّة تنفيذ الأوامر وقبول الشروط ..

جيلى اصطلى بنار الهزيمة السوداء فى ١٩٦٧م ، ويعيشها حتى الآن ، ليس بفعل النصر اليهودى ولكن بتأثير القهر الداخلى ، أو الهزيمة الداخلية بمعنى أدق .

وجيلى عاش بهجة العبور فى رمضان ١٣٩٣هـ ، ولمس القدرة على الفعل وإنزال الهزيمة بجيش الدفاع مهما كان مدرّعًا بالترسانة العسكرية الأمريكية ، ونفوذها السياسى الجبار .

بين الهزيمة والعبور ، والاستسلام للإرادة اليهودية الغربية فى مبادرات ومفاوضات لم ولن تنتهى إلى خير واستقرار ، بدليل وجودك على رأس الكيان اليهودى الدموى المحارب ، وممارساتك الممتلئة بالصلف والعجرفة والوقاحة فى معظم الأحيان .. يتأكد جيلى يومًا بعد يوم أن المواجهة مستمرّة ، وأن اللعب اليهودى بالنار لن يتوقف ، وأن خطب السلام المزخرفة فى إنشائيات فارغة لن تقنع جيلى بل أمتى بخديعة أخرى .. ومن ثم أردت أن اقول لك ولليهود عامة :

## القدس ليست للبيع !

لقد كتبت تحت هذا العنوان مرارًا ، واليوم أكرره وأؤكده ، مع أن كل الشواهد والدلائل المادية تؤكد على وفاة العرب وموتهم .

صحيح أن قدمك تطأ أرض بلادى اليوم ، وأنت تعلم أنّ العربى فى وطنه بلا كرامة ولا حرية ولا كيان .. وأن عباقرة العرب وعلماءهم أقل مكانة وقيمة لدى السلطة من أحطّ راقصة فى شارع الهرم !

وصحيح أن قدمك تطأ أرض بلادى اليوم ، وأنت تدرك أن كثيرًا من حكامنا العرب يسارعون فيكم سرًا وعلانية ، ويرون أن التحالف معكم أفضل من التحالف مع أشقائهم وإخوانهم ، مع أن الدين والتاريخ والواجب والمصلحة يفرضون تقديم الأخ والشقيق على العدّو والغريب !

وصحيح أن قدمك تطأ أرض بلادى اليوم ، وأنت تعرف أن ما تريده أنت هو الذى يتم تنفيذه وتحقيقه ، وأن الحلول الوسط تكون دائماً لصالح الكيان اليهودى وزعمائه وعلى حساب العرب والقدس العتيقة .. وأن تصريحاتك التى ستنشر فى القاهرة من قبيل « فكّ المجالس » وينتهى تأثيرها بعد انصراف الزائرين !

ولكن من قال : إن ذلك سيدوم إلى الأبد ؟

هل تذكر يوم دخل الصليبيون إلى القدس وظلوا بها أكثر من سبعين عاماً ؟ لقد أسسوا ممالك وإمارات وهيمنوا على فلسطين والشام ، ولكنهم - من حيث لم يحتسبوا - ظهر لهم « صلاح الدين الأيوبى » القائد الشجاع ، والفقيه العابد ، والزاهد الورع ، الذى أرسى دعائم العدل والأخلاق لدى الناس ، وجمعهم على طاعة الله ورسوله ، وطهّر البلاد من رجس الباطنية وأكاذيب المنافقين ، وشهد له مؤرخو الغرب ( ليسوا جميعًا بالطبع ولكن الفضلاء منهم ) بالنبل والعفّة وأخلاق الفروسية ، وأعاد صلاح الدين الأيوبى القدس العتيقة إلى عزّتها وشموخها وانتصارها وكرامتها ..

وظلت القدس أبيّة وسخيّة ، حتى جاءت طلائع الاستعمار الأوروبى الذى مهّد لكم ولعصاباتكم احتلالها وإذلالها ، وظننتم أن الأمر سيدوم لكم ، ولم تتعظوا من دروس التاريخ ، ولم تتذكروا اسم « صلاح الدين الأيوبى » .

قد يموت العرب ، ويظلون فى سباتهم طويلاً ، ولكنهم فى يوم ما سيستيقظون وسينبعثون ، قد تهزمون العرب مرة ومرات ، ولكنكم لن تحتملوا هزيمة واحدة ، وانتصارًا عربيًا واحدًا .

وإذا كان جيلى يعيش الهزيمة ويصطلى مرارتها مع كل نشرة أخبار ، ومع كل نبأ تطيره وكالات الأنباء عن القدس العتيقة .. فآمل أن تصدقنى بأن أبناءنا القادمين لن ينسوا قدسهم ومقدساتهم .. أعلم أنكم تلوّحون بقنابلكم الذرية والهيدروجينية .. وتعتقدون أنها ستحقق لكم الهيمنة والتسلّط وإذلال العرب والمسلمين .. تمنيت لو علمت أنت ومن معك أن هناك قوة أكبر منكم ومن حلفائكم فى الغرب والشرق على السواء .. هذه القوة لا تحسبون حسابها ، وهى التى أفقدتكم ثلاثة وسبعين من القتلة فى ليلة القدر المباركة قبل أسابيع ، وجعلتكم تنوحون حتى يومنا .. أتعرف هذه القوة ؟ إنها قوة الله .. الذى يحب « العدل » ويحضّ عليه ، ويحاسب به فى الدنيا والآخرة .. هذه القوة ستنصرنا لأن مقاييسها تختلف عن مقاييس البشر ، ويوم ننفّذ ما تطلبه ستحقق لنا ما نريد ، وهو العدل : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

**أيها الزائر المرفوض المكروه :**

إن وجودكم على رأس العصابات اليهودية فى فلسطين له حسنة عظيمة ، تتمثل فى إحياء الأمة من جديد ، لتستعيد ذاتها وشخصيتها ، فضلاً عن روحها ، وهو ما يعنى أن صلاح الدين قادم - بإذن الله - مرة أخرى بشجاعته ، وفروسيته ، وفقهه ، وزهده ، وورعه ، وتقواه ، وساعتها ستحرّر القدس ، وتغرّد مآذنها وقبابها ، وتعلوها راية خضراء زاهية .

# عمر يظهر فى القدس !

هذا عنوان رواية ممتازة كتبها صديقى الراحل الأديب الكبير « نجيب الكيلانى » ، عقب هزيمة ١٩٦٧م ، صوّر فيها - عن طريق الحلم - الطريق إلى تحرير القدس . تمنيت أن تقررّها وزارة التعليم على طلاب المراحل المختلفة ، لتعرف الأجيال الجديدة كيف تعيش القدس فى الضمير القومى حتى يَأذن الله باللحظة الفاصلة بيننا وبين أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا .. ولكن التنظيم الطليعى يكره عمر وكل ما يمت إليه بصلة ، فعمر يقيم العدل ، ويرى الإسلام حرية وشورى وجهادًا والتزاماً بالأخلاق ومسئولية عن كل الكائنات التى تأكل وتشرب ، ولو كانت دابة تعثر بأرض العراق ، وقبل ذلك وبعده ، يرفض التجسس والتقارير الكيدية والتسلق على الأكتاف والجدران والقيم ! لذا فإن وزارة التعليم لن تقرّر رواية « عمر يظهر فى القدس » !

ارتباط القدس بعمر وثيق للغاية ، فهو الذى حرّرها من قبضة المغتصبين ، وكتب فيها عهده للنصارى ، ولم يصلّ فى كنيستهم حتى لا يتخذها المسلمون مسجدًا ، ونحن فى حاجة إلى عمر ليعلمنا كيف نستخلص القدس من بين أنياب الغول اليهودى الصغير ، ونواجه أنياب الغول الأمريكى الكبير .

كان من المضحك أن يفسّر البعض قضية القدس بأنها مولود له رأسان أحدهما طيب والآخر شرس ، ومطلوب منهما أن يتعايشا وإلا حقّت عليهما اللعنة والمحنة .. وهذا التفسير ينطلق من الاستسلام لمنطق المعتدين ، ومحاولة الرضا بالهزيمة والأمر الواقع .. فما كانت القدس برأسين أبدًا ، ولن تكون . لها رأس واحد ، مهما طغى الهول واستبد البطش وتنامت القنابل النووية اليهودية .. قد يضحك مفسرو القضية من كلامنا ، وقد يسخر

أنصار التحالف مع اليهود فى كوبنهاجن من إرادة الجماهير المقموعة بمقامع من حديد ، ولكن عمر فى الرواية ، وفى التاريخ يعلمنا كيف نحرّر القدس !

الدرس الأول هو التحرر من الخوف ، والتحرّر قبله مما عدا الله ، فإن ذلك يفتح الطريق للمواجهة مع العدوّ ، حيث يضعه على صفيح ساخن دائماً ، ولو امتلأت خزائنه العسكرية بملايين الأطنان من القذائف والحمم .. ولكم فى العمليات الاستشهادية الفلسطينية خير دليل .

الدرس الثانى : أن نحترم فيما بيننا حقوق الإنسان .. أيًّا كان هذا الإنسان ، فلا نستبيحه لأنه رجعى أو ثورة مضادة ، أو ظلامى ، ونؤمن أننا متساوون قولًا وفعلًا أمام القانون والإرادة .. فسحق الكرامة الإنسانية فى البلاد العربية بأيدى العرب أساس الانتصار اليهودى عليهم مجتمعين ، ولأن العبيد لا يحرّرون أوطانًا ، فضلًا عن مدينة بحجم القدس !

الدرس الثالث : أن يقف المثقفون العرب موقفًا رجوليًّا ، فلا يروّج بعضهم للتطبيع ، ولا يسوغ بعضهم الاستبداد ، ولا يؤيد بعضهم القوانين الظالمة ، ولا يؤله بعضهم المسئولين الطغاة ، ولا يلهث بعضهم وراء منفعة رخيصة يبيع من أجلها الشرف والكرامة وطهارة الكلمة ، ولا يصادر بعضهم حق الأغلبية فى التعبير عن إرادتها الحقيقية داخل صندوق الانتخابات .

الدرس الرابع : وهو أن يكف البعض عن محاربة عقيدة الأمة ودينها ، فلا يوجد فى العالم من يحارب دين الأمة وعقيدتها إلا فى بلاد العرب والمسلمين ، لا اليهود يفعلون ذلك ، ولا الهندوس ، ولا الأوربيون ، ولا البوذيون ، ولا الوثنيون .. ولكن فريقًا من الناس فى بلادنا ترك كل القضايا ، وتفرغ للهجوم على العقيدة والشريعة ، وافترض بل اعتقد أن ذلك هو الطريق إلى التنوير والتقدم والأمن ؟! وهذا غير صحيح ، بدليل أن اليهود يبعثون دينهم المندثر منذ أربعة آلاف سنة ، ويحاربون باسمه ، ويحدّدون دولتهم كما تحددها التوراة وفقًا لمزاعمهم – ثم ينتصرون علينا !!

الدرس الخامس : علينا أن نتلاقى على الرحمة والوحدة حتى تصبح حياتنا آمنة مثمرة ، فالرحمة دواء للجروح الغائرة ، والوحدة قوة مضاعفة ترهب الأعداء ، وتربك خططهم ، وتهيئ ليوم النزال القادم لا محالة ( سيفرضه اليهود علينا وإن أبينا ) !

الدرس السادس : يتمثل فى محاربة الفساد والمفسدين فى كل المجالات بدءًا من كرة القدم حتى البنوك والتلفزيون ، فأكل أموال الدولة حرام .. واللصوصية المحصّنة أشدّ خطرًا من لصوص حبل الغسيل ، وإفساد العقول والقلوب من أكبر الجرائم التى لا يغفرها الله ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ..**﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

الدرس السابع : يقوم على الاستجابة لأمر الله سبحانه : ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ..**﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] والإعداد ليس تخزين السلاح فحسب ، بل التدريب المستمر عليه ، والإرادة الحقيقية فى استخدامه .

**القدس ليست للبيع !** ولن يضيّعها أهل كوبنهاجن دون إرادتنا ، والدليل على ذلك أن رموز الأمة من أحزاب ونقابات وهيئات ومثقفين ودعاة ، اجتمعوا فى مقر « الوفد » ليقولوا لمن يعنيهم الأمر : **إن القدس لن تضيع مهما تكاثفت الظلمات ، وإن القدس ليست للبيع** وإن استخدم « شايلوك » كل حيله وأساليبه فى تقطيع أوصال العرب والمسلمين .

فى أعماقى أشكر السيد « نتنياهو » لأنه يوقظ الأمة ، ويحركها ، ويروّعها بكشف الوجه الحقيقى لليهود ، الذى خبّرنا به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا أو يزيد ﴿ **كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ ..**﴾ [ المائدة : ٧٩ ] .

لا تغرّنكم حكايات جماعة السلام الآن !

واستيقاظ الأمة وتحريكها وترويعها أول الطريق لتحرير القدس بإذنه تعالى .

# الشيطان الأكبر

انتهى الشيطان الأصغر من أحدث جرائمة : قتل أكثر من مائتى طفل وامرأة ورجل ، فضلاً عن مئات الجرحى ، وتدمير البنية الأساسية فى لبنان ، وإذلال العرب والمسلمين جميعًا ، إذ لم يفتحوا أفواههم أو عيونهم فى وجه « عرّاب » السلام اليهودى السّفاح « بيريز » ، الذى لقّنهم درسًا مفيدًا فى ماهية السلام وأبعاده ومستحقّاته !

أما الشيطان الأكبر ؛ فمشغول كعادته بتدليل الشيطان الأصغر ، وتزويده بأحدث « اللعب » التكنولوجية التى يُسْكِتُ بها العرب المتوحشين الهمج فى الغابة المحيطة به !

والحقيقة أن الشيطان الأكبر له مكانة سامية فى قلوب معظم الحكومات الإسلامية والعربية ، لدرجة أن الأغلبية الساحقة صارت لا تبتسم إلا إذا ابتسم ، ولا تتكلم إلا إذا تكلم ، ولا تكشّر عن أنيابها إلا إذا كشّر .. وهى معه على طول الخط سواء كان مصيبًا أو مخطئًا ، إذ إن شدة حبّه والتولّه به ، تجعل من مخالفته ولو صوريًا أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلاً « ومن الحب ما قتل » !

عندما يقول الشيطان الأكبر مثلاً : إن الإسلام هو العدو ، وأنه يناقض السلام اليهودى ، فما على المحبيّن إلا استئصال الإسلام ومحاربته وتجفيف منابعه ، كى يتحقق الاستقرار والأمن والسلام اليهودى !

وإذا قال : إن معارضى السلام اليهودى يزعجون دولة التوراة ، فما على المهرولين والمتمهلين إلا إصدار القرارات والقوانين وتكوين الجيوش الوسيطة والميلشيات التى تقوم بتقييد حرية هؤلاء المعارضين ووضعهم على

لوائح المطلوبين ومطاردتهم فى صحوهم ونومهم ، ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية عند اللزوم .

باختصار ، فإن الشيطان الأكبر حوّل المواجهة على حدود فلسطين إلى مواجهة تصل إلى حدّ الاقتتال داخل الدول العربية ذاتها . ويسقط الضحايا كل يوم هنا وهناك ، والشيطان الأكبر يبتسم فرحًا بالحرب المثمرة والحرائق المشتعلة فى البيت العربى والإسلامى ، لدرجة أن الدولة الوحيدة التى تتمتع بعلاقات طيبة مع جميع الدول العربية والإسلامية هى دولة الشيطان الأصغر. أما الدول العربية المسلمة فقليلاً ما تجد بعضها على وفاق مع البعض الآخر ، وكثيرًا ما حرّض الشيطان الأكبر دولاً عربية ضد أخرى فقاتلت بعضها ، وتدخّل هو وسيطًا أو مناصرًا لطرف ضد آخر .

وفى الوقت ذاته ، اصطفى الشيطان الأكبر عن طريق الحكومات العربية أو بصورة مباشرة فريقًا من المثقفين الخونة الذين صارت مهمتهم الوحيدة تجميل الوجه القبيح للشيطان الأصغر ، وتشويه صورة الإسلام بكل الوسائل والسبل الممكنة بدءًا من الدعوة إلى الإلحاد باسم التنوير ، وصولاً إلى الكفر باسم الحداثة والتقدمية ، بعد أن مكنهم من وسائط النشر والدعاية والتعبير .

ومن المفارقات اللافتة أن الشيطان الأكبر ساعد الدول الشيوعية على التحرّر من هيمنة الأحزاب الديكتاتورية الحاكمة ، حيث تحوّلت معظم هذه الدول إلى السلوك الديمقراطى الحرّ .. وكان المأمول أن تكون الدول العربية والإسلامية على الطريق ذاته ، وللأسف فإن الشيطان الأكبر وقف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ضد حرّية الشعوب العربية بدعوى حمايتها من الأصولية الإسلامية أو الإرهاب الإسلامى !؟ وانتهى الأمر عمليًا إلى كون الديمقراطية لا تليق بالعرب والمسلمين ؛ لأن معنى وجود ديمقراطية هو وصول الأصولية والإرهاب إلى الحكم !

ومن ثمّ رحب الشيطان الأكبر بإلغاء انتخابات الجزائر التى فازت فيها الحركة الإسلامية ، ورحّب ضمنًا بتنحية رئيس الجمهورية الذى سمح بهذه الانتخابات ، ووافق عمليًا على معسكرات الاعتقال والتعذيب والقتل التى أقامها العساكر الموالون لفرنسا فى الصحراء الكبرى حيث الجوّ اللاهب وجهنم الحمراء ، ثم حرّم الانتخابات الحرة فى بقية الدول العربية ، لكن الشيطان الأكبر جرّد بوارجه وطائراته وأساطيله ، وتوجه نحو هاييتى ليعيد رجل الدين « القسيس أريستد » إلى الحكم بدعوى الحفاظ على الديمقراطية !

لا يطيق الشيطان الأكبر سماع كلمة « الإسلام » فى أية بقعة إسلامية . إنه يوافق على الإسلام الشكلى الذى يعطى صورة مشوّهة ومزيّفة ، ولكنه لا يقبل أبدًا بالإسلام النقى الحقيقى الذى يمثّل التطور الإنسانى والفكرى فى سلوك المسلمين . لذا قام بإشعال الحرب فى أفغانستان عقب انتصارها على السوفيات ، وكلما شعر أن القوى المتصارعة قد أنهكت واقتربت من التفاهم ؛ قام بتشكيل جماعات من الطلاب الجهلة الذين يمثّلون صورة قبيحة للإسلام ، وزوّدهم بالسلاح والصواريخ والطائرات ليستمر الخراب والدمار فى البلد الذى كان يعقد عليه المسلمون كثيرًا من الآمال .

وعندما فاز حزب الرفاه فى تركيا ، استخدم نفوذه الخفى ، لتتشكّل الحكومة التركية من خدّامه الذين يعادون العرب والإسلام جميعًا ، وعندما فكرت إيران فى إنشاء مفاعل نووى قام بشن حملة تهديد ووعيد للروس والصين وكوريا كى لا يتم إنشاء المفاعل ، وفى ليبيا يحدث الشىء نفسه عندما روج للحديث عن مصنع كيماوى ادعى أنها تقيمه وتهدّد به السلام العالمى وأنه يجب ضربها .. فى حين أن الشيطان الأصغر يحظى يوميًا بالدعم المستمر وبأحداث أنواع التكنولوجيا النووية لمفاعلاته فى ديمونة وغيرها .

إن الشيطان الأكبر يحارب الإسلام والمسلمين بكل ضراوة ، وقد أعلنها صريحة السيد « هاتنجتون » مساعد وزير الخارجية الأمريكى من

خلال كلامه عن صراع الحضارات ، حيث طلب من المسلمين إذا كانوا يريدون العيش فى أمان أن يلحقوا بالغرب فكرًا وسلوكًا وإرادة ، وأن يحدّدوا نسلهم (!) وإلا فإن العواقب ستكون وخيمة ! ولعل هذا يفسّر لنا سرّ الصمت الغربى عن إبادة شعب البوسنة ومكافأة المعتدى الصربى !

ولم يعد خافيًا ما يعنيه اختفاء كلمة « الجهاد » من لغة العرب والمسلمين ، وسيادة كلمة « الإرهاب » وإطلاقها على كل عمل جهادى شريف ضد الشيطان الأصغر وممارساته الإجرامية ضد المظلومين والمقهورين !

الناس يتساءلون إلى متى تستمر هذه الحالة ؟

والجواب يقول : إن المقاييس الأرضية تؤكد نجاح الشيطان الأكبر ، وبالتالى الشيطان الأصغر فى تحقيق أهدافهما بإقامة « مملكة داود » ، وتحويل العرب والمسلمين إلى « هنود حمر » بعد استلابهم وإذلالهم !

أما المقاييس الإلهية فلها منطق آخر ، وعسى الله أن يأتى بقوم يحبّهم ويحبّونه .

* * *

# شواهى ذات الدواهى !

فى قصص « ألف ليلة وليلة » تظهر شخصية شريرة اسمها « شواهى ذات الدواهى » رسمها الخيال الشعبى رسمًا فنيًا متقنًا ، فهى مخادعة ما كرة قبيحة ، تقوم بدور شرير فى الإيقاع بحكام المسلمين والغدر بهم وقتلهم أبشع قتلة لحساب الروم الذين تنتمى إليهم .. تنطبق شخصية « شواهى » على الغرب عامة ، والولايات المتحدة خاصة ، الفرق الوحيد أن شواهى كانت تتنكر فى زىّ العبادة والتقوى إلى درجة التنطّع ، أما أمريكا وحلفاؤها فلا يبدون كذلك ، إنهم صرحاء إلى درجة الوقاحة ، فى اللعب بأقدار أمتنا وحكامها ، ومع ذلك فإن البعض مازال يعتقد أن البكاء على صدر « ماما » أمريكا هو الحلّ ، وأنها المنقذ من الضلال ، ومن أنياب الغول اليهودى الصغير .

لقد فرضت أمريكا وحلفاؤها على شعوبنا الحرمان من الحرية والشورى والتقدم ، وحرّمت علينا التفاهم فيما بيننا وإقامة البناء الديمقراطى الحقيقى مثل بقية شعوب العالم ، وأجبرتنا على الخضوع لإرادتها ومشورتها ومشيئتها ، وسلبت منا ثرواتنا ، بل واحتلت أراضينا وفرضت علينا فى الوقت نفسه ثمن هذا الاحتلال عدًّا ونقدًا ، ولأول مرّة نرى شعوبًا تحتلّها القوات الأمريكية وتتقاضى الثمن بحجة حمايتها من الشقيق الذى يعمل لحساب أمريكا وإن بدا معاديًا لها .. ومن المفارقات أننا نصالح من تصالحه أمريكا ونعادى من تعاديه حتى لو كان شقيقًا عربيًا مسلمًا يمكن أن يكون سندًا حقيقيًا وحليفًا طبيعيًا ( انظر حالة إيران مثلًا وقارنها بالكيان اليهودى وتأمل علاقتنا بالاثنتين ! ) .

استطاعت شواهى الأمريكية أن تؤسس لها فى بلاد العرب والمسلمين

ولو بطريق غير مباشر قواعد راسخة تقوم عند اللزوم بأداء الواجب فى قمع أية رغبة شعبية لإرساء أسس الحرية الحقيقية والشورى غير المزيفة ، والديمقراطية الشاملة .. قد تكون هذه القواعد الراسخة جيوشًا عسكرية كما نرى فى تركيا والجزائر على سبيل المثال ، أو أجهزة أمن كما نرى فى معظم الدول العربية والإسلامية ، أو رجال أعمال أو نخبة مثقفة أو غيرهم كما نرى فى كل مكان !

يضاف إلى ما سبق ، قيام الأجهزة الاستخبارية القذرة بصناعة الفتن والجماعات التى تثير القلاقل وتلوى الأعناق إلى مشكلات ثانوية تستنزف جهود البلاد والعباد ، وتزرع بذور الشرّ فى قلوب الأشقاء والأبناء ، وترتوى شجرة الشرّ بدماء الإخوة والأحباب .. وفى الوقت ذاته تبدو شواهى بريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

فى ظل هذا الوضع المأساوى يلعب الغول اليهودى الصغير فى ملعب واسع ، لا يعكر صفوه أحد ولا يقلقه أحد ، ويمرح سعيدًا ويرتع منتصرًا ظافرًا فى ظلّ ماما شواهى !

ومع أن الدلائل والأحداث على مدى خمسين عامًا ، وقبلها قرن من الزمان ، تقول أن دول الغرب وأمريكا لا يمكن أن تكون مخلصة فى مشورة أو وساطة أو علاقة ، فإن البعض منا مازال يمحضها الإخلاص الكامل والحب كله ، أملًا أن تحفظ ماء وجهه .. ولكنها للأسف لا تفعل شيئًا ، بل أخذت فى الآونة الأخيرة تصفع الجميع على وجوههم بطريقة مهينة ومستفزّة ووقحة ، والجميع يذوبون فى هواها غزلًا وعشقًا وهيامًا !!

لقد استخدمت « شواهى » فى عشرة أيام حق الاعتراض « الفيتو » مرتين فى مجلس الأمن لحماية اليهود وهم يسرقون القدس ويهوّدونها ، وقال المندوب الأمريكى : إن المفاوضات هى الحلّ ! وخرجت وزيرة الخارجية الأمريكية تقول للناس : يجب على الفلسطينيين أن يوقفوا العنف ، ولم تقل للسفاح اليهودى « نتنياهو » نفّذ الاتفاق المجحف بالعرب الذى تم توقيعه بعد مفاوضات طويلة ومُذلّة ومهينة فى أوسلو وواشنطن والقاهرة .

وتحدث الإعلام الأمريكي واليهودى كثيرًا عن الضوء الأخضر والضوء الأحمر .. وترك القضية الأساسية ، وهى ضرب اليهود عرض الحائط بكل اتفاق وتعهدات وشروط .. وصارت المسألة هى تأديب العرب والمسلمين الذين لم يشكروا السفاح اليهودى على وقف تنفيذ « أوسلو » ولم يستسلموا لإرادته التوراتية !

لقد تفضلت شواهى بإرسال اليهودى « دينيس روس » إلى المنطقة لا لينفذ الاتفاقيات المتهافتة ، ولكن ليساعد الطرفين من جديد على التفاوض ! أى تفاوض ! وأىّ سلام ! وأى مستقبل يصنعونه للمنطقة ؟

وكلما بدا فى الأفق أن العرب أو المسلمين ، ينوون القيام بعمل ما .. تحركت شواهى على الفور لتوقفه وتئده فى مهده بوعود معسولة وكلمات مغموسة بالسمّ الذى يبدو دسمًا حتى تفوّت الفرصة ، وتزرع اليأس والإحباط ، وتثير الشعوب على حكامها ، ويحصد السفاح اليهودى كل الثمار والنتائج وبات من المتعذّر عقد قمة عربية لاتخاذ قرار .. أى قرار !

لابد من تفكير آخر فى بلاد العرب والمسلمين يؤدّب شواهى والغول اليهودى الصغير ، ويضع حدًّا للخداع والمخاتلة .. كفانا دفنًا للرءوس فى الرمال ، وعلينا أن نجدّ ونعمل ونواجه شواهى بما يليق .. فالصراع صراع وجود ، وليس مجرد عراك على مدينة اسمها القدس أو قطعة أرض فى الجولان أو جنوب لبنان أو الضفة والقطاع ..

إن العلم اليهودى يضع نجمته السداسية بين نهرى النيل والفرات ، واليهود لم يضعوا لدولتهم دستورًا حتى اليوم يحدّدون فيه حدود دولتهم الإرهابية ، وشواهى تمدّهم بالخبز والزبد والسلاح لصناعة مملكة داود على حسابنا وحساب مستقبلنا .. فإلى متى نصغى لشواهى ونستمع إلى نصائحها بضرورة التفاوض إلى مالانهاية ؟

إن الجهاد الحقيقى أكرم طرق التفاوض ، والمستقبل بيد الله وحده .

# عندما يأتى الطوفان ؟

قيل كلام كثير عن « عناقيد الغضب » اليهودية التى انصبت على شعبنا المسلم فى لبنان ، ولست فى حاجة إلى تكرار ما قيل ، ولكننا فى حاجة إلى استيعاب درس الغضب اليهودى ، وفهمه والاستعداد لمواجهته مستقبلاً إذا كنا جادين حقًّا فى عدم تكراره بهذه الصورة الوحشية البشعة التى فاقت النازية والهمجية فى سلوكها وفكرها وتطبيقاتها .

يلفت النظر على الجانب اليهودى فى مذابحه التى أقامها للشعب اللبنانى المسلم ما يلى :

١ - إن المذابح تحولت تحت لواء التوراة حيث استقت اسمها « عناقيد الغضب » من نصوص توراتية ، ولم يخجل اليهود من استلهام عقيدتهم وتحكيمها فى سلوكهم مع « الأميّين » - أى العرب - وكانت شرارة القتل للمدنيّين من أهل لبنان تعبيرًا عن العقيدة اليهودية وأساطيرها القديمة .

٢ - أن الجريمة التى قادها السفاح « بيريز » أثبتت أن الحمائم والصقور فى الدولة اليهودية بفلسطين مجرد تمثيلية رخيصة ، يضحك بها اليهود على العرب السذّج الذين استسلموا للإرادة اليهودية استسلام « الشجعان » الكامل والشامل . فالمجزرة الأخيرة لا تقلّ بشاعة عن مجزرة عملية « سلامة الجليل » التى قادها « شارون » عام ١٩٨٢م .

٣ - أن السلام بالمفهوم اليهودى هو « سلام القبور » وفق تعبير الإرهابى الهالك « مناحم بيجن » ، وعبّر عنه صراحة فى كتاب مطبوع ومنشور منذ زمان باللغة العربية ( بعد ترجمته ) ، يعلن فيه - بالفم الملآن - :

أن السلام الذى تؤمن به العصابات اليهودية هو صمت جميع الجبهات المحيطة ، أى سلام القبور ، ويمكن تسميته بلغة مهذبة « سلام العبيد » وفقًا لرؤيا التوراة المتداولة .

٤ – أن الولايات المتحدة بوصفها زعيمة العالم الصليبى ، قد باركت المجزرة ، وأعطت إشارة البدء ، وتعهدت بتعويض الأسلحة والذخائر التى تخسرها دولة القتلة ، فضلًا عن منع مجلس الأمن من اتخاذ أى قرار يشير ولو من بعيد إلى المجزرة وصانعيها .. ثم الظهور بمظهر الوسيط الذى يدعو إلى وقف إطلاق النار بعد أن حقق اليهود الهدف من حملتهم الدموية ، وبعد صمت المدافع توجه « بيريز » إلى واشنطن ليحصد المزيد من الدعم المادى والتكنولوجيا المتطورة والسلاح الأرقى .

٥ – أن موقف الدول الصليبية ، ودول العالم الثالث التابعة للعالم الصليبى ، كان مطابقًا لموقف الولايات المتحدة ، وسعيدًا بما يحققه اليهود من إنجازات فريدة فى مجال ذبح المسلمين ، ومنعهم من دفن شهدائهم الأطفال والنساء والشيوخ .

٦ – حقق اليهود أهدافهم كلها ، وحصلوا على صكّ كتابى يمنحهم الحق فى مطاردة حزب الله فى كل مكان ، وتحميل لبنان وسورية المسئولية عن كل قذيفة تطلق ضد قواتهم ، وإن قال المسئولون العرب غير ذلك .

٧ – لم يخسر اليهود قتيلًا واحدًا فى الحملة ، واستطاعوا أن يقتلوا أكثر من مائتى مسلم معظمهم من الأطفال والنساء ، فضلًا عن تهجير ثمانمائة ألف لبنانى من الجنوب ، وترويع لبنان كله ، وتدمير بنيته الأساسية التى تبلغ تكاليف إصلاحها الأولية نحو خمسمائة مليون دولار أمريكى .

أما ما يلفت النظر على الجانب العربى فى مواجهة المذابح فوق الأرض اللبنانية فهو ما يلى :

١ – التزمت العواصم العربية رسميًا صمت القبور ، باستثناء المؤتمر

الفاشل لوزراء الخارجية العرب الذى لم يتخذ قرارًا ذا طعم ، لأن عين الأغلبية على الأقل ، كانت فى اتجاه واشنطن ، وما تقوله السيدة « أولبرايت » والسيد « كريستوفر » !

٢ - عنصر المقاومة الوحيد بالطبع كان حزب الله الذى اعتمد اعتمادًا كليًا على التمويل الإيرانى بصواريخ الكاتيوشا ، وكانت معظم طلقاته عديمة الجدوى فى التأثير على شمال فلسطين ، حيث بنى العدو اليهودى منذ زمان بعيد ملاجئ جيّدة للسكان وتعهّد جيش الدفاع بإسكات الكاتيوشا !

٣ - بعد أن طالت الحملة ، وقام العدو اليهودى بمذبحة « قانا » بدأت بعض العواصم الغربية تتحدث عن العدوان اليهودى بكلمات منتقاة ومحسوبة تشير فى معظمها إلى المخاطر التى يتعرّض لها ما يسمى بالسلام أو بعملية السلام ، وضمناً فإن الكلمات المنتقاة والمحسوبة كانت تشير إلى مصير « الهرولة » و « المهرولين » !

٤ - فى الوقت الذى كان صراخ الشرفاء فى العالم يعلو تنديدًا بالنازية اليهودية ، كان « المناضل الكبير » ياسر عرفات ، يكافئ القتلة اليهود بإلغاء الميثاق الفلسطينى الذى يشير إلى ضرورة تحرير فلسطين ، وفى الوقت ذاته يتابع استئصال الإسلام فى الضفة والقطاع واعتقال قادة حماس والجهاد الإسلامى .. بل إنه ذهب إلى ما لا تحتمله اللحظة واقعيًا وخلقيًا وادّعى المزاح بالخطأ فى اسم رئيس لبنان فقال : حافظ الاسد رئيس لبنان !

٥ - سكت كتّاب السلطة والمبشّرون بالسلام اليهودى فى ظل التبعية للعالم الصليبى ، ولم يتكلّموا عن المذابح التى اقامها اليهود للشعب المسلم فى لبنان ، بل توقّح بعضهم ونادى بضرب السودان عسكريًا فى الوقت الذى كانت فيه المدافع والطائرات والبوارج اليهودية تمطر شعب لبنان بالقذائف المميتة !

٦ - أيقن المضَلَّلُون من أفراد الأمة الذين صدقوا السلام الكاذب بفعل

أجهزة الدعاية العربية أن دولة القتلة ليست دولة سلام ولا أمان ، وأنها مجرد عصابات تتشهّى دماء العرب والمسلمين بمناسبة وغير مناسبة ، وأن ما قاله المخلصون ذات يوم عقب مبادرة السادات عن وحشية اليهود وخداعهم وكذبهم صحيح مائة بالمائة ، لأنه ما قاله القرآن الكريم فى حق اليهود !

٧ - فى أثناء المجازر كانت التقارير التى تسرّبها الجهات اليهوديّة والصليبية عن عمد تتحدث عن مخطّط يستهدف مصر من ناحية الجنوب يشارك فيه الصليبيون المتعصبون الخونة : جون قرنق ويورى موسفينى وأسياس أفورقى ، بشن حرب شاملة ضد السودان وتمزيقها والاستيلاء على منابع النيل ومدخل البحر الأحمر .. وقد تحدثت التقارير عن نشر قوات تابعة لما يسمى جيش التحرير السودانى والجيش الأوغندى والجيش الإريترى على حدود السودان ، مع كلام عن تدريبات عسكرية بقيادة ضباط أمريكيين وصفقات سلاح توردها الصين وكوريا وأطراف أخرى !

من خلال النقاط السابقة ، فإنه يتبين أن المقصود ليس السلام مع العرب وإنما الحرب ضدهم ، وبما أن العرب جميعًا لا يقدرون على خوض الحرب ضد اليهود ، أو إن مصر أضعف من مواجهة دولة القتلة كما ذكر ذلك نائب فى مجلس الشعب ، فإن الواجب يحتم على مصر - قبل العرب - أن تضع فى حسبانها ما يلى :

١ - ضرورة ترتيب البيت من الداخل سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ، بحيث تهيئ الشعب للصمود والمقاومة فى حالة شنّ عدوان يهودى محتمل يهيئ لقيام مملكة داود . إن الحوار السياسى بين السلطة والمعارضة بات مسألة ضرورية للوصول إلى الأولويات التى ينبغى التوحّد عندها .

٢ - لم يعد من الممكن الوثوق فى الغرب الصليبى والولايات المتحدة خاصّة ، وهو ما يعنى مراجعة العلاقات مع الغرب ، وطرح البدائل الممكنة وفقاً لأسس علمية ، بحيث لا نقع تحت رحمة حكومات العالم الصليبى .

٣ – إن إقامة السلام اليهودى مقابل استئصال الإسلام أمر مستحيل ، وغير مقبول على كافة المستويات ، ومن ثم يجب على الحكومات التى أخذت على عاتقها عملية الاستئصال تحت مسميات من قبيل : تجفيف المنابع ، أو الاستئصال ، أو مكافحة الإرهاب ، أو التنوير ، أن تفهم أن الإسلام عميق فى أغوار النفس العربية ، وأن استئصاله مستحيل ، وأن من الأجدى التصالح معه بما يحقق الخير للجميع .

٤ – لم يعد مقبولًا أن تكون لغة الخطاب مع العدو اليهودى رقيقة منتقاة ، ومع بعضنا البعض دولًا أو شعوبًا أو سلطة وشعوبًا مليئة بالفظاظة ، والقسوة والتشهير والانتقام . إن التسامح أوجب ما يكون فى هذه الظروف ، فالشعوب تقف مع حكوماتها ، إذا صارحتها الأخيرة بالحقائق دون لف أو دوران .

٥ – على النخبة التى أساءت إلى الشعوب والتاريخ والدين أن تراجع مواقفها ، وتكفّ عن تجميل الوجه القبيح لليهود فى فلسطين ، سواء بكتاباتها أو بقراراتها أو بفتاويها التى لا تستند إلى صحيح الإسلام ، وحبذا لو التزمت هذه النخبة بالصمت طالما لا تستطيع أن تقدم الحقيقة ، والشعوب بفطرتها ستكتشف الخطأ من الصواب .

فى مواجهة الخطر اليهودى وكل خطر ، يجب أن تتوحّد الأمة : أفرادًا وشعوبًا وحكوماتٍ ، وإلا فإن الطوفان سيكتسح الجميع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم .. وما درس الأندلس ببعيد !

* * *

## السفينة المثقوبة .. إلى أين ؟

ما كنت أحسب أننى سأعيش حتى أرى ذلك اليوم الذى تسيل فيه عواطف بعض القادة العرب تجاه اليهود ، أعداء العرب والمسلمين والإسلام ، بل الأشد عداوة كما وصفهم القرآن الكريم ، كما أثبتت أعمالهم على مدى التاريخ .

يقول القرآن الكريم : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ...** ﴾ [ المائدة : ٨٢ ] ، وأكثر القرآن الكريم من وصفهم بالصفات الخلقية والسلوكية التى تؤكد عدوانيتهم ووحشيتهم وسعيهم بالفتنة وخيانتهم للعهد ورجوعهم عن الحق ، وقتلهم الأنبياء ، وإشعال الحروب ، وأكل الربا ، وانحراف نفسيتهم ، ومخالفتهم لمنهج الاستقامة ... إلخ .

أعمالهم على مدى التاريخ الإسلامى تؤكد كل ما سبق ، ودورهم فى غزوة الخندق ونقضهم للعهود ، وخيانتهم للمسلمين مما أدى إلى طردهم وقتالهم ( بنو النضير - بنو قريظة - خيبر ) ، ثم فتنة عبد الله بن سبأ ، ووقوفهم وراء الجماعات المتطرفة وثورات الزنج والقرامطة والحشاشين ، وما فعلوه فى فلسطين ومازالوا : القتل ، التشريد ، الإرهاب بالجيش وبالموساد ، والوصول إلى عواصم ومدن عربية لقتل واختطاف العرب والمسلمين .. ثم وهو الأخطر : وضع رقاب العرب والمسلمين تحت حذائهم النووى ! وحتى إشعار آخر !

ذهب بعض العرب إلى جنازة الإرهابى اليهودى « إسحق رابين » الذى احتل القدس وأذل العرب وكسّر عظام الفلسطينيين ، واحتقر قادتهم وزعماءهم ، ومع ذلك تطوّعوا بوصفه ببطل الحرب وبطل السلام .. فإذا كانوا قد صدقوا فى الأولى .. فهل صدقوا فى الثانية ؟ وأى سلام يعنون ؟

أهو السلام النووى ؟ أم السلام الذى يجعل القدس عاصمة أبدية وموحدة للدولة اليهودية ؟ أم السلام الذى يبقى على ثلاثة ملايين ونصف مليون فلسطينى لاجئين مشردين بلا هويّة فى بلاد الله ؟ أم السلام الذى يسيطر على المياه والاقتصاد والمواقع الاستراتيجية ؟ أم السلام الذى يجعل العرب والمسلمين يأتمرون بأمر اليهود وإرادتهم ، ويجعل بلادهم مسرحًا للموساد والمخدرات والجنس والقمار؟

كنت أتمنى أن يكفكف بعض العرب دموعهم فى جنازة الإرهابى الراحل ، وفى مناسبات تأبينه ، حتى تستبين حقيقة السلام المزعوم الذى عبر عنه الإرهابى الهالك « مناحيم بيجن » بأنه « سلام القبور » أى يصمت العرب مثل صمت القبور كى يكون هناك سلام يهودى يرضى عنه اليهود !

وليت الأمر توقف عند حدود العواطف السائلة ، ولكنه تحوّل إلى الحديث عن تحالفات عسكرية مع الأعداء اليهود ، بل إن البعض تطوع وهذه أول مرة فيما أعلم ؛ بتحريض اليهود على عدم التنازل لسورية فى المفاوضات الجارية بواشنطن ، وصدرت صحيفة يومية عربية كبرى ، وعلى صدر صفحتها الأولى ، نقلًا عن صحيفة يهودية اسمها « هاتسوفيه » خبرًا يتحدث عن فلان الذى يحذر اليهود من الإفراط فى مغازلة سورية ومن التنازلات غير المحسوبة ؟! أى غزل ؟ وأى تنازلات ؟ أليست الأرض المحتلة أرضًا عربية ، وقد صدّع القوم رءوسنا بالحديث عن العرب والقومية العربية ؟ أليس الانسحاب اليهودى من الأرض المحتلة يمثل تنفيذًا لرغبة قومية وإرادة دولية متمثلة فى قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمة المتحدة ؟

نحن لا ندرى تمامًا إلى أين ستدفع الريح بالسفينة العربية المثقوبة !

إن السفينة العربية تبحر فى بحر الظلمات ، ولا يوجد دليل ، وقد انتشرت النكتة فى أرجاء العالم العربى مؤخرًا بأن هناك من سيدعو غدًا دولة اليهود « بإسرائيل الشقيقة » !

إن الدين والأخلاق والمصالح ، تحتم جميعًا أن يخجل البعض من نفسه ، ويجمّد عواطفه قليلًا ، فالقوم لا يريدون خيرًا بأحد حتى الذين تسيل عواطفهم على أعتابها ، فإنهم يعدّونهم مجرّد أدوات لتنفيذ أهدافهم القريبة والبعيدة .

وفى كل الأحوال ؛ فإن السلام له شروطه ومواصفاته الإسلامية ، وليس اليهودية ، وما لم تتحقق هذه المواصفات وتلك الشروط ، فلابدّ من الطوفان .. الطوفان !

* * *

# فقه الاستسلام !

يبدو أن الأمة مقبلة على مرحلة جديدة من مراحل الهزيمة والعار ، يؤسّس لها بعض الضعاف الذين انحلّت عزائمهم أمام مغريات الحياة وترغيب المفسدين فى الأرض ، ومنذ تعددت الهزائم والنكسات فى العالم الإسلامى ارتفعت أصوات عديدة تدعو إلى التعقل وترك العاطفية ، بمعنى الاستسلام لإرادة الأعداء والإذعان لإملائهم ، حتى لو كان الثمن التفريط فى أرض الإسلام ومقدساته ، والموافقة على تشريد المسلمين واستئصال العقيدة من النفوس والقلوب تحت دعوى السلام المزعوم !

ويمكن القول إنه ظهر نوع جديد من الفقه يسمى « فقه الاستسلام » وهذا الفقه يرتدى مسوح التعقّل والرضا بالأمر الواقع على أساس أنه قدر لا يمكن مواجهته أو الوقوف فى طريقه ، ويتمادى البعض فى دعواه ، فيزعم أن ذلك منهج السلف الصالح !

ودعاة « فقه الاستسلام » يقولون : إن التضحيات التى تذهب فى ميادين القتال بلا عائد ولا ثمن ، وأن الدماء التى تراق لا تعيد أرضًا ولا تحفظ عِرْضًا ، ومن الأولى - كما يزعمون - الرضا بالأمر ، لأن السلف الصالح كانوا يفعلون ذلك حقناً للدماء ، وصوناً للأعراض !

ولو أن ذلك كان صحيحًا ، ما واجه المسلمون فى غزوة « بدر » مشركى « مكة » ، وهم الأقوى عددًا وعدّة وجيشًا وفرسانًا ، وما دخلوا بقية المعارك التى فتحت فارس والشام وبلاد الروم ومصر وإفريقية ، وواصلوا زحفهم شرقًا وغربًا ، لم تثنهم خسائر أو مهالك ، بل امتثلوا للأمر الإلهى « وجاهدوا .. » .

إنّ دعاة فقه الاستسلام ، يتناسون حقائق الماضى والحاضر التى تؤكد على أن الحق لابد أن تحميه القوة ، وأن الحرية لا تمنح ولكن تنتزع ، وأن الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث لم تزحزح الاستعمار عن صدرها

إلا بعد أن أرغمته على ذلك ، ولم تحصل على استقلالها إلا بعد البذل والفداء، وقد عبّر شوقى قائلًا ذات يوم :

**وللحرية الحمراء باب    بكل يد مضرجة يدق**

بل إن المفاوضات السياسية تحسمها عادة المواقع العسكرية التى تمثّل القوة وموازينها ، على أرض المعركة ، ولا يتنازل العدوّ عن مواقعه إلا إذا عرف أن هنالك قوة ترغمه على ذلك ، أو تجعله يدفع ثمنًا غاليًا .

الذين يتصوّرون أن قوة العدوّ وتفوقه ذريعة مناسبة للاستسلام مخطئون ؛ لأن العدوّ دائمًا أقوى ، والمنهج القرآنى يعلّمنا أن نعدّ ما نستطيع لا ما يساوى قوة العدو ﴿ **وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ...** ﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] .

والمفارقة أن دعاة فقه الاستسلام لا يتوجّهون إلى الأعداء باللوم أو الدعوة إلى التخلى عن الظلم والطغيان ، ولكنهم يسارعون بلوم أشقائهم الضحايا وتقريعهم على تضحياتهم وبذلهم بدعوى أن هذا ليس منهج السلف الصالح !

قبل فترة قام المجاهدون الشيشان ببعض العمليات ضد العدو الصليبى الروسى الجبان ، واستطاعوا - مع خسائرهم الكثيرة - أن يربكوا القيادة الروسية ، وأن يضعوها أمام العالم فى صورة كريهة ، وأن يحرّكوا العناصر السياسية المعادية لسياسة الرئيس الروسى داخل موسكو ومجلس الدوما ، فى اتجاه رفض الحرب وطريقة معالجة الشيشانية .. ولكن أنصار فقه الاستسلام لأعداء الدين والطغاة ، خرجوا يقرّعون الشيشان ويلومونهم على ما فعلوه ، ويطالبونهم بالتخلى عن الجهاد !

نحن نطالب دعاة فقه الاستسلام بأن يتركوا الشيشان فى حالهم ، وأن يكفوهم شرّ نصائحهم المغرضة ، وأن يتقوا الله فى السلف الصالح ، الذين رفضوا الدنية وعاشوا لله مخلصين طائعين ، لا يسوّغون ظلمًا ولا يرضون طغيانًا ، ولا يفسرون الإسلام لصالح فراعنة العصر الحديث !

## مكافأة إرهابى !

العدو اليهودى يكافئ دائمًا إرهابييه ، ومحترفى الإجرام ، وخاصة إذا كان إرهابهم أو إجرامهم موجّهًا ضد العرب المسلمين العزل .

والإرهابى اليهودى تُقام له الاحتفالات ، وتسير له مواكب التعاطف والتقدير ، ويظل رمزًا للنضال ضد العرب الأجلاف ، والفلسطينيين الأوغاد !

فالعربى فى المفهوم اليهودى على كل المستويات ومناهج التعليم اليهودية والكتابات الأدبية اليهودية ، جلف متخلّف جبان ، والفلسطينى فى التصوّر العبرى الحديث أمىّ وغد سافل ، لذا فإن سحق العربى أو الفلسطينى بطولة يهودية تخلّد صاحبها فى كتب التاريخ اليهودى ، وتضعه على لوحة الشرف العبرية قدوة للأجيال الجديدة من اليهود .

وقد كافأ اليهود عددًا من الإرهابيين بأعلى المناصب فى الدولة الغاصبة . صعد بن جوريون إلى رئاسة السلطة ، وكان إرهابيًا عريقًا ، ومؤسسًا لعصابة الهاجاناه ، وكان مناحيم بيجن إرهابيًا عريقًا ومؤسسًا لعصابة الأرجون زفاى لومى ، وكان إسحق شامير إرهابيًا عريقًا ومن أبرز أعضاء العصابة السابقة ، وكان إسحق رابين إرهابيًا عريقًا وعضوًا بارزًا فى منظمة الشبيبة اليهودية الإرهابية ، وعندما انضم إلى الجيش اليهودى بعد تأسيس الدولة الغاصبة ، سحق العرب واحتل القدس العتيقة عام ١٩٦٧م ، وأمر بقتل الأسرى المصريّين ، وكسّر عظام الفلسطينيين فى الانتفاضة الفلسطينية !

وآخر نجوم الإرهاب اليهودى الذى صعد إلى سدّة الحكم فى الدولة الغاصبة هو « يهودا باراك » الذى صار وزيرًا للخارجية فى دولة القتلة ، وهو أهم منصب بعد رئاسة السلطة .. وتاريخ الإرهابى « باراك » ينضح بالدم

والغدر والخيانة ، منذ التحق بجيش الدفاع ، وقد اكتسب شعبية يهودية حين ذهب إلى لبنان فى ثياب امرأة وقتل ثلاثة من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية منهم كمال ناصر ، وتصاعدت شعبيته ونجوميته حين تسلل إلى تونس - حيث كان مقرّ منظمة التحرير الفلسطينية بعد خروجها من لبنان ، واستطاع أن يقتل « أبو جهاد » العضو البارز فى المنظمة ، والمخطط للانتفاضة الفلسطينية - كما يقال - وعندما تولى رئاسة أركان الجيش اليهودى صال وجال فى تنفيذ إرادة أستاذه الإرهابى « إسحق رابين » وكسّر عظام الفلسطينيين ، ونسف بيوتهم ، واعتقل الآلاف منهم ، وأغلق الضفة والقطاع ، وخطف العديد من أعضاء المقاومة الإسلامية فى جنوب لبنان ، وأغار عليهم بالطائرات والقنابل المحرمة ، ورصاص « دمدم » ، وفى مفاوضات واشنطن مع بعض العرب ، عبّر عن غطرسته واستعلائه ، وعاد إلى فلسطين السليبة مزهوّا بإخفاق المفاوضات !

بعد قتل أستاذه « رابين » على يد الإرهابى « إيجال عامير » اختاره الإرهابى « شيمون بيريز » ليكون الرجل الثانى بعده ، وليقول لقومه الإرهابيّين : إن « رابين » لم يمت بل مازال حيًّا يرزق فى شخص باراك أو « بروك » كما كان يسمى قبل أن يتم استقدامه وعائلته من أوروبة إلى فلسطين .. يحاول « بيريز » أن يظهر بمظهر الحمامة الوديعة التى تريد السلام أمام العرب والعالم ، ولكنه فى الوقت ذاته يريد أمام القتلة أن يثبت أنه ليسَ حمامة ، ولن يكون ، بل هو وحش شرس يحقق لليهود كل ما يريدون .. ألم يكن هو الذى أسس للبناء النووى فى فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٧ م ؟

ولم تكن مفارقة بعدئذ أن يبدأ الإرهابى « باراك » عقب توليه منصبه الرفيع بزيارة لبعض العواصم العربية ، ويعلن فيها بوقاحة عن مطالب تمسّ سيادة هذه البلاد ، ويطلب من بعض وزرائها وقف برامج إعلامية وموضوعات صحفية تتناول دولة القتلة بالتعليق ، بل يطلب من بعض هذه العواصم التى زارها أن تساعد فى إقامة علاقات دبلوماسية بين دولته الغاصبة والدول الأخرى !

لقد ترقّى الإرهابى اليهودى حتى صار صاحب مطالب يطلبها من العرب المسلمين ، وصار شخصية مرموقة فى الكيان اليهودى تترقب الآذان والعيون ما يصدر عنها من مقولات وتصريحات تصبّ فى خانة تهديد العرب والمسلمين .. ثم تُفتح لها العواصم ، ويستقبلها كبار الزعماء والشخصيات فى كل مكان [1] .

وفى الوقت الذى يُكافأ فيه الإرهابيون اليهود ، يُحاصر المسلمون فى كل مكان ، ويتّهمون بالإرهاب والعنف حتى لو كانوا يدافعون عن أوطانهم ومقدساتهم ، ويطلبهم الغرب والشرق فى الموانى والمطارات وداخل غرف نومهم ، لأن مجرّد انتمائهم إلى الإسلام تهمة لا تسامح معها إلا بنفى الإسلام من معجمهم وحياتهم وماضيهم ومستقبلهم .. ولا غالب إلا الله !

* * *

(١) تولى « يهودا باراك » الآن رئاسة حزب العمل اليهودى ؛ خلفًا لشيمون بيريز ، بعد خسارة الحزب فى انتخابات ١٩٩٦م .



# ثانياً : إسلاميات

# تحريم الإسلام على المسلمين !

ليست مكافحةً للعنف أو الإرهاب تلك الموضوعات أو المقالات التى تهاجم كل ما هو إسلامى ، أو يمت للإسلام والمسلمين بصلة .. لأن القضاء على العنف والإرهاب لا يتم بالهجوم على الإسلام والمسلمين أو استنكار الشعائر الإسلامية والتصوّر الإسلامى .

ينسى البعض أن الروح الإسلامية متجذّرة فى نفوس المسلمين عامة ، حتى لو كان فهمهم لمبادئ الإسلام منقوصًا أو مغلوطًا ، أو كان إدراكهم لمقاصد الشريعة قاصرًا ومحدودًا .. ومن ثمّ فإن القضاء على الإسلام غير ممكن عمليًا ، وإن كان البعض يتصوّر أن ذلك ممكن نظريًا من خلال الخطط الطويلة الأمد .

والقضية التى تواجه المسلمين اليوم فى بلادهم هى وجود من يوقنون أن قضيتهم الأولى الاستراتيجية تتمثل فى مكافحة الوجود الإسلامى ويقظة المسلمين ، وإحلال التصوّر الغربى مكان التصوّر الإسلامى ، وتسويغ التبعية للغرب وقبول هيمنته الاستعمارية التى تأخذ أشكالاً عديدة ، وصورًا شتّى .. ومن ثمّ فإن تحريم الإسلام على المسلمين هو الغاية الكبرى التى يسعى إليها المعادون للإسلام ، والرافضون له .

وإذا عرفنا أن كثيرًا من هؤلاء يدورون بصورة وأخرى فى فلك جهات أجنبية لا تخافت بدورها الاستعمارى أو التبشيرى ، ومنها مجلس الكنائس العالمى ، وجهاز المخابرات المركزية الأمريكية .. أدركنا حجم المهمّة الشيطانية الملقاة على عاتقهم ، وطبيعة السلوك أو المنهج الذى يتبعونه مع دعاة الإسلام وعلمائه ، والمجتمع وأفراده .

ثمة ملحوظة مهمة فى هذا السياق هى أن بعض الحكومات فى البلاد

الإسلامية يكاد ينحصر نشاطها العملى والفعّال فى دعم المعادين للإسلام والرافضين له ؛ دعمًا مباشرًا لوأد كل نبتة إسلامية وتجفيفها ، وبالطبع فإن الفريقين يتبادلان المصالح والمنافع ، وكلاهما يتمتع بالرضا الصليبى اليهودى .

وتتخذ مظاهر تحريم الإسلام على المسلمين صورًا عديدة ، لم تعد خافية على كل ذى حسٍّ إسلامى ، ويمكن حصرها أو حصر بعضها فى النقاط التالية :

**١ - تعطيل الشريعة الإسلامية :**

فى واقع حياة المسلمين ، وتصويرها تصويرًا بشعًا ، يضعها فى دائرة النظام الدموى الكريه ، ولا يذكر المعادون للإسلام والمسلمين غير قطع الأيدى والأرجل وجزّ الرءوس بالسيوف .. وهذا افتئات على الشريعة التى تعالج قضايا الإنسان المسلم بتنظيم دقيق محكم ، يحقق التعاون والتآلف والتراحم بين أفراد المجتمع ، وفى الوقت ذاته تؤسِّسُ لمجتمع نظيف خلقيًّا .

لقد وضعت الحدود لمعاقبة المجرمين والخارجين على نظم المجتمع ، وهؤلاء يمثّلون قلة من الأفراد فى كل الأحوال وكل المجتمعات ، ولاريب أن كل الأمم والدول والمجتمعات قد وضعت من القوانين والنظم ما تواجه به انحراف هذه القلة . ولا ريب أيضاً أن الحدود فى التشريع الإسلامى تحقق أفضل النتائج فى معالجة الانحراف والمنحرفين ، وتمثل أفضل السبل لتحقيق الأمن والسلام فى المجتمعات الإسلامية .

ومن المفارقات أن بعض الأجهزة الأمنية الدولية ترعى نظمًا استبدادية وجماعات إرهابية مهمتها تشويه الإسلام باسم تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتمنح هذه الجماعات وتلك النظم فرصة العمل والوجود الفعال والتأثير الواضح فى الوقت الذى تتناقض فيه تناقضًا جوهريًّا مع الشريعة ومقاصدها النبيلة ، فالشريعة لم تكن فى يوم من الأيام مسوّغًا للاستبداد أو الطغيان ، ولم تكن فى يوم من الأيام مجالاً يمارس فيه المستبدون أو الطغاة ذبح الشعوب وجلدها .

إن الشريعة رحمة ونور ، وهدى ونظافة ، وتقوى وطهارة ، وعلم وعمل .. ومن يتصوّرون أن الشريعة غير ذلك فهم ظالمون لأنفسهم وشعوبهم .

ولأمر ما ، فإن العالم الغربى بحكم عدائه القديم للإسلام ، حريص كل الحرص على وأد كل بادرة للتطبيق الحقيقى للإسلام وشريعته الغرّاء ، والأحداث الراهنة تؤكد كل يوم بما لا يدع مجالًا للشك أن العالم الصليبى لا يألو جهدًا فى محاربة الإسلام وشريعته ! بالتشوية أو التآمر ، أو المغالطات أو الحرب السافرة ، أو تحريك الطوائف غير المسلمة ضد الشريعة وأهلها ، ولم يكن غريبًا أن يتفاخر رئيس إحدى الطوائف مؤخرًا بأنه منع رئيس إحدى الدول الإسلامية من تطبيق الشريعة وإقرار قانون الردّة !

**٢ - علمنة التعليم :**

وتلك كانت أخطر محاولات استئصال الإسلام وتحريمه على المسلمين ، وهى كامنة فى تغيير نظم التعليم فى البلاد الإسلامية بما ينفى عنها الصفة الإسلامية ، والتصوّر الإسلامى جميعًا ، ولعل الذين قرأوا تاريخ الاحتلال الإنجليزى لمصر مثلًا ؛ يذكرون ما قام به اللورد « كرومر » فى تغريب التعليم و« أوْربته » مع جعل الإنجليزية اللغة الأولى فى التعليم المصرى بدلًا من العربية ، فضلًا عن نفيه للعلوم الشرعية أو تهميشها ، وإن كان خلفاء اللورد كرومر من أهلنا ، وفى زماننا قد قسوا عليها أكثر من كرومر نفسه ، وبالغوا فى إسقاطها عمليًا من العملية التعليمية بعدم احتسابها فى المجموع ، وإن أبقوا على بعض ملامحها الهشة أو تلك التى تسوّغ للطالب أن ينفر منها تمامًا !

لقد صُعقتُ عندما راجعت كتابًا فى المرحلة الثانوية يصف مؤلفه حركة البعث الإسلامية أو اليقظة الإسلامية التى واجهت العدو الاستعمارى فى أواخر القرن الماضى بـ « السلفية » وخلا الكتاب تقريبًا من أى ذكر للإسلام دين الأمة وهويّتها وشرفها وكرامتها وماضيها وحاضرها ومستقبلها ،

ولكنه اهتم كثيرًا بنجوم العلمانية وسدنة المدرسة الاستعمارية التى فرضت على الأمة نمطًا مخيفًا من التفكير والحياة هو نمط التبعية للغرب الاستعمارى والدوران فى فلكه الآثم الشرير !

ومن المفارقات التى تدعو للعجب أن بعض الأقسام فى بعض الكليات صارت اليوم تحرّم تدريس ما يتعلق بالإسلام من قريب او بعيد مادام هنالك طلاب غير مسلمين حتى لو كان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، لأن الإشارة إلى الإسلام - فى زعمهم - تثير الفتنة الطائفية ، ونسوا أو تناسوا أن الإسلام ليس مجرد دين ، وأنه حضارة عامة شاملة ينهل منها المسلم وغير المسلم ، وأن مصر وغيرها من الدول الإسلامية تفخر بأبنائها غير المسلمين مثلما تفخر بأبنائها المسلمين ، وأن التاريخ الإسلامى سجل على امتداد عصوره نماذج راقية من هؤلاء ، استوعبوا الحضارة الإسلامية ومقاصدها وإن ظلوا على ولائهم لمعتقداتهم ، دون أن يثير ذلك أية فتنة طائفية .. هؤلاء بالطبع يختلفون عن أبناء المدرسة الاستعمارية الذين تنكروا لولائهم الطبيعى ، وآثروا أن يكونوا توابع للمستعمر المتعصّب ، فحاربوا معه دين الأمة وشوهوه .. وكان من المؤسف أن يجد بعضهم فى نفسه الجرأة التى تصل إلى حدّ الوقاحة ليطالب بتدريس كتاب على عبد الرازق « الإسلام وأصول الحكم » فى مدارس مصر الإسلامية ! مع أن الدنيا عرفت أن على عبد الرازق تاب عما قاله فى هذا الكتاب لأنه مخالف للإسلام وشريعته !

### ٣ - تفريغ أجهزة الدعاية من المفاهيم الإسلامية :

ولا ريب أن أجهزة الدعاية ( إذاعة ، تلفزة ، صحافة ، وكالات أنباء ) فى أوساط غير ديمقراطية ، وعلى مستوى الشعوب أو الأحزاب أو الجماعات لا تعبأ إلَّا بما يروج لأفكار مالكيها الفعليين ، ولو كانت الشعوب هى المالك الحقيقى لهذه الأجهزة ، فالشعوب التى سطا المستبدون على إرادتها ومصيرها لا تملك فى واقع الأمر شيئًا ، وإن تباهى الطغاة بأنها تملك كل شىء !

أحداث التاريخ القريب والمعاصر تؤكد ذلك وتثبته ، فكم من قضايا وأحداث تم فيها تزوير إرادة الناس ، وإرغامهم على الخضوع لإرادة المستبدين الطغاة عن طريق أجهزة الدعاية ، وذلك لاعتناق النظريات السياسية أو التأثير فى التوجهات الانتخابية أو تسويغ الأخطاء فى القرارات المصيرية .

لقد تعرض الإسلام منذ اليقظة الحديثة فى منتصف القرن الماضى وأواخره إلى حرب ضروس من أنصار المدرسة الاستعمارية وأتباعها ، حتى جاءت فترة الانقلابات العسكرية قبل نصف قرن تقريبًا ، فاقتلعت المفاهيم الإسلامية من الجذور ، وحاربت الإسلام بلا هوادة تحت دعاوى قومية أو حزبية أو غيرها ، حتى صار الإسلام فى أجهزة الدعاية رديفًا للرجعية والظلام والتخلف ، وضد التقدم والانطلاق والتحرر .

وعندما اشتبكت الأنظمة مع بعض الجماعات ، فإن الإسلام صار قرينًا للتطرف والإرهاب والقتل ، بل إن لغة الدعاية السائدة الآن تكنّى بالتطرّف عن الإسلام فى معظم كتاباتها وأدبياتها .. ومع التطور الكبير فى أجهزة الدعاية ، فإن السلطات المستبدّة وأعوانها استخدموا الدراما من سينما ومسرح ومسلسلات تلفزيونية وإذاعية فى جعل المسلم الملتزم هو المتطرّف الإرهابى القاتل بعينه !

ذكرت بعض الصحف أن برنامجًا إذاعيًا أوقف التسجيل لأن المتحدث فيه أراد أن يعبر عن قيم الإسلام ومفاهيمه بوضوح ، وطلب منه مقدم البرنامج أن يصوغ كلامه بطريقة أخرى !

إلى هذا الحدّ وصل تحريم الإسلام على المسلمين بإرغامهم على عدم التحدث عنه أو الإشارة الصريحة إليه !!

قد يقول قائل : إن هناك إذاعات وبرامج وصفحات تتناول الإسلام وتتحدث عنه ، وترعاها الدول المتهمة بمحاربة الإسلام .. وهذا صحيح .. بيد أن ما نراه ونسمعه ونطالعه يدور فى الإطار الذى تفرضه هذه الدول ،

وغير مسموح له بتجاوز الإنشائيات والهوامش التى لا تعبر عن هويّة الإسلام وشخصيته الحضارية والتشريعية ، فضلًا عن أن المسموح به يذاع فى أوقات ميتة ، أو ينشر فى صفحات منعزلة ، ميتة أيضًا .

إن المفاهيم الإسلامية يفترض أن تكون أبرز العناصر الدعائية فى أجهزة الدعاية ، لأن الدول الإسلامية تكتسب صفتها ووجودها وشخصيتها من الانتماء إلى الإسلام وشريعته .. أما الانسلاخ عن الإسلام وشريعته فله مدلول خطير ، وينبئ عن شرّ مستطير .

الاستطراد فى تناول الصور المعادية للإسلام فى بعض بلاد المسلمين يحتاج إلى مساحات شاسعة ، لا يحتملها هذا المقال ، ولكن الرغبة العارمة من جانب قوى الشر العالمية والمحلية فى تحريم الإسلام على المسلمين تمثّل توجّها تدميريًا خطيرًا يمكن أن يؤدى إلى مضاعفات لا تحمد عقباها ، خاصة بعد أن صار معروفًا للقاصى والدانى أن قوى الشرّ لا تريد خيرًا بالإسلام والمسلمين ، وقد تكشّف للمخدوعين أن الكلام المعسول الذى نسمعه أحيانًا هنا وهناك ما هو إلا مخدّر لتمرير الخطط الشيطانية فى بلاد الإسلام ، باغتصاب بعضها ، أو نهب ثرواتها ، أو تركيع أهلها واستعبادهم .

إن قوىّ الشرّ لن تقبل بأقل من تحريم الإسلام على المسلمين ، وهو ما يستوجب من الأمة أن تتمسّك أكثر بأهداب دينها ، وأن تقبض عليه ولو كان جمرًا ، وأن تفاخر به ولا تخجل منه ، وأن تبرز كنوزه وجواهره فى سلوكها وعملها مما يجعله علامة على الحياة والأمل والمستقبل الجميل ، والآخرة الأجمل إن شاء الله تعالى .

* * *

# استئصال الإسلام

هناك سؤال يُطرح بإلحاح :

هل استئصال الإسلام حقيقة أم مجرد وهم ومبالغات ؟

والإجابة تؤكد حقيقة استئصال الإسلام فى كثير من بلدان المسلمين يتطوع بها الحكام أو يقوم بها خدّام الغرب واليهود .

يقول البعض : إن الحكومات المعنيّة تقيم المساجد ، ويحضر زعماؤها المناسبات الدينية ، ويلقون الخطب العصماء التى تشيد بالإسلام وعظمته ، وهذا صحيح تمامًا ، ولكنه جانب الشكل من المسألة ، أما المضمون فشىء آخر ، لأنه يُصادر الإسلام بل يستأصله ، فى حياة الشعب والأفراد .

إن مصادرة الحرية والعدل والمساواة والشورى تعنى استئصال الإسلام ، لأن القيم المصادرة هى جوهر الإسلام وأساسه المتين ، كيف يكون المجتمع مسلمًا وقد فقد المواطنون إرادتهم وكرامتهم ، وعاشوا تحت ظلال القهر والتمييز ؟

إن الإسلام ليس مجرد صلوات ومساجد ، ولكنه تكوين شامل لمجتمع يعمل ويتعبد ، ويفكر ويطبق ، ويخطط وينفذ ، وليس مجرد مجموعة من الكائنات الحية تغدو وتروح ، وتملأ معداتها بالطعام والشراب .

والمجتمع الإسلامى متميز عن غيره من المجتمعات ، لأن له خصائص مختلفة ، تصوغ أفكاره وسلوكه وعلاقاته الداخلية والخارجية ، وتغيير هذه الخصائص أو مطاردتها جزء من عملية استئصال الإسلام والقضاء عليه .

ما نراه فى بعض البلاد الإسلامية يؤكد على حرب ضروس تشنها

الأحزاب العلمانية والقوى اليسارية بمساعدة الحكومات المعنيّة ضد الإسلام وقيمه ، وتشريعاته ، والجهر بعلمانية الدول ، أى رفضها للإسلام نظامًا للمجتمع وخصيصة مميّزة له .

عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م ، قامت بتغيير هويّة المجتمع المسلم ، وأحلّت اللغة الفرنسية مكان العربية لتبعد الشعب عن إسلامه وعقيدته ، وعندما تولى « كرومر » شئون مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزى جعل التعليم بالإنجليزية ليبعد الناس عن الإسلام والعقيدة ، والشىء نفسه جرى فى أكثر من مكان فى العالم العربى والإسلامى ، حيث صارت غاية العالم الصليبى المستعمر استئصال الإسلام ، مضمونًا على الأقل ، وبعد أن ترك مستعمراته فقد ضمن وجود تلاميذ مخلصين ، يؤدون دوره بجدارة واقتدار ، وهو ما يحدث اليوم على جبهة القوى العلمانية واليسارية والطائفية ( وقد أسفرت الأخيرة عن وجهها القبيح مؤخرًا ) ، حيث تعمل هذه الجبهة على تحريم الإسلام على المسلمين ، بل تتوقح أحيانًا وتتهم الإسلام بالتعصب والجمود والظلام !

لا ريب أن القوى الصليبية العالمية واليهود ، حاضرون فى عملية استئصال الإسلام داخل العالم الإسلامى بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

عندما فازت جبهة الإنقاذ الإسلامية فى الجزائر عام ١٩٩٢م ، امتلأ العالم بالصراخ من الأصولية الإسلامية التى ستقلب نظام الكون فى جمهورية الجزائر ، وتمت مساعدة عملاء العالم الصليبى على إقالة رئيس الدولة آنئذ ، وإلغاء الانتخابات التى فازت فيها الجبهة ، وأعيدت البلاد إلى الحكم العسكرى الذى أعمل القتل والتعذيب فى العباد ، وأقام المعتقلات الرهيبة جنوب البلاد مما أحدث ردّ فعل تمثل فى العنف والعنف المضاد الذى أسفر حتى الآن عن أربعين ألف قتيل [١] .

---

(١) تقول بعض الإحصائيات إن العدد تجاوز مائة ألف قتيل أواخر عام ١٩٩٧م .

وعندما فاز حزب الرفاه الإسلامى فى تركيا ، لم يكفّ الصراخ للحيلولة دون وصوله إلى الحكم ، وأسلمة الدولة ، وكانت التهديدات الوقحة سافرة بقلب نظام الحكم [1] !

وفى البلاد الإسلامية التى بدا أن القوى الإسلامية فيها ستحقق وجودًا نيابيًا ملحوظًا ، كان الرد المباشر إقامة المحاكم العسكرية للإسلاميّين ، وتزوير الانتخابات لاستئصال وجودهم الاجتماعى .

وتم تسليم أجهزة الدعاية والصحافة ووسائط النشر والتثقيف إلى العلمانيين واليساريين والطائفيين للهجوم المستمر على الإسلام وتشريعاته ، وتصوير من ينتمى إلى الإسلام نظامًا وعقيدة بالإرهاب والتطرف والتعصب والدموية .

أليس ذلك استئصالًا للإسلام فى بلاد المسلمين ؟ أم إنه مجرد وهم ومبالغات ؟

* * *

(١) قام الجيش التركى بانقلاب ( أبيض ) ، حيث استقال زعيم الرفاة مضطرًا ، وتم شراء عدد من النوّاب ليتحوّلوا إلى الحزب المنافس ، ويوفّروا له الأغلبية ، وقيل إن ثمن النائب وصل إلى خمسة ملايين دولار ، كما قيل إن أمريكا كانت صاحبة اليد الطولى فى الانقلاب ( الأبيض ) !

## السياسة الغربية .. والتعصب الصليبى

فى شهر ديسمبر عام ١٩٩٥م ، نجح حزب « الرفاه » التركى فى التفوق على جميع الأحزاب ، وحصل على أكبر عدد ممكن من مقاعد مجلس النوّاب ، ساد الذُعر فى أنحاء العالم الصليبى والأوساط العلمانية فى بلادنا العربية والإسلامية ، لأن حزب الرفاه يتبنى سياسة إسلامية صريحة تحبذ المنهج الإسلامى فى العمل والسلوك ، والسياسة والاقتصاد ، والثقافة والتجارة وغيرها من أوجه النشاط الإنسانى .

السياسة الإسلامية أو المنهج الإسلامى لا يعجب الغرب الصليبى والعلمانيين فى بلادنا الإسلامية ، لأنه - كما يزعمون - ضد الديمقراطية والحرية ويؤجج نيران التعصب والتشدّد الدينى ! لذا لابد من قمعه وإقصائه عن الوصول إلى سدّة الحكم ، بل من المشاركة أصلًا فى الحياة العامّة !

الديمقراطية الغربية - أى الصليبية - تحبذ ذلك . وقد باركت من قبل سحق جبهة الإنقاذ الإسلامية فى الجزائر حين فازت فى الانتخابات عام ١٩٩٢ التشريعية ، وحركت من قبل الجيش التركى لسحق حزب السلامة التركى حين حقق فوزًا ملموسًا فى الانتخابات التشريعية عام ١٩٨٠م ، والقضاء على الحكومة الإسلامية او ذات الميول الإسلامية عام ١٩٦٢م ، وأعدم رئيس الحكومة علنًا وعلى رءوس الأشهاد ، وكانت مأساة ، وكانت أحزان بسبب رغبة الأتراك فى التعبير عن هويّتهم الإسلامية التى لا تعجب الغرب الصليبى !

لقد سكت الغرب الصليبى على القمع الذى تمارسه حكومات عربية وإسلامية ضدّ الأحزاب والحركات التى تظهر ميولًا إسلامية ، فتم نفيها من

الحياة السياسية أو القضاء على كوادرها وإدخالها السجون ونفيها إلى خارج البلاد ومطاردتها فى منافيها البعيدة .

كما سكت الغرب عن تزوير الانتخابات العلنى فى البلاد العربية والإسلامية التى تتبنى نوعًا شكليًّا من الديمقراطية ، وبارك - فى السرّ - إنجاز حكوماتها فى قمع الإسلاميّين ، وعدم تمكينهم من الفوز فى الانتخابات .

القضية إذًا ليست الديمقراطية أو الديكتاتورية .. القضية فى الأساس هى استئصال الإسلام وإقصاؤه عن الحياة والمجتمع ، وتعميق حالة التبعية المخجلة للغرب التى تتبناها بعض الحكومات الإسلامية ، لذا فكل كلام عن الديمقراطية هو نوع من الدعاية الفجة التى يبثها الغرب ، لكسب الأنصار والأتباع ، ولكنه عند « الاختبار » يكشف عن طبيعته « الصليبية » الحقيقية التى لم تفارقه منذ تسعة قرون !

إن الديمقراطية فى مفهومها الغربى - وكما نقلت عن الإغريق - هى حكم الشعب بالشعب ، أو هى بتعبير آخر ، الحكم وفقًا لإرادة الشعب !

وشعوبنا الإسلامية اختارت إسلامها ، وتريده أن يكون منهجها فى الحكم والسياسة والاقتصاد والثقافة والتربية ، ومواجهة الأعداء ، فلماذا يريد الغرب الصليبى تنحية الإسلام ، أو إلغاء الديمقراطية عندما يكون الإسلام هو إرادة الشعوب ؟

يتناسى الغرب الصليبى وأتباعه فى العالم الإسلامى أن الإسلام يملك نظامًا أرقى بكثير من الديمقراطية هو « الشورى » وهذا النظام سبق معظم الأنظمة الوضعية فى إرساء قواعد التعدديّة ، والاعتراف بالآخر دون قمعه أو مصادرته ، وجعل لرأى الأغلبية الكلمة الأولى ، ما لم يتعارض هذا الرأى مع صحيح الدين .

لقد رفضت كنيسة روسيا قيام حزب إسلامى ، وحرمت المسلمين من التعبير عن أنفسهم فى الانتخابات الروسية التى جرت فى وقت مقارب

لانتخابات تركيا ، لأنها لا تريد حزبًا يقوم على أساس دينى ، بينما تناست الكنيسة والغرب أن التعصب الصليبى هو محرّك السياسة الغربية فى معظم المواقف والأحداث .

إن اتهام الإسلام بالتعصّب والتشدّد ، لا ينبع من قرائن موضوعية أو علمية ، ولكنه ينبع من روح صليبية ، تغذّيها أساطير وخزعبلات ترسّبت فى الوجدان الصليبى ، منذ عدوان الغرب على المسلمين قبل تسعة قرون .

كان المفروض أن يكون التقدم الحضارى والتكنولوجى والعلمى ، قدّ غيّر الطبيعة الصليبية المتعصّبة للغرب ، ولكنه للأسف الشديد يعمقها مع مطلع كل يوم ، لتنتج سياسة عدوانية قبيحة تعمل على تمزيق المسلمين وإشاعة الفتن فى صفوفهم وحرمانهم من الحياة الكريمة بعد نهب ثرواتهم وأموالهم ومصادرهم الطبيعية ، ولا عزاء للديمقراطية !

* * *

# العلمانيون .. والإسلام

من يقرأ تاريخ أمتنا القريب أو البعيد على السواء يجد أن الحرب ضد الإسلام والمسلمين ليست قضية طارئة أو بنت لحظتها ، ولكنها مسألة محسوبة يتم لها التخطيط ، وتتولاها الأجيال جيلًا بعد جيل .. المقصود بالأجيال هنا أجيال الصليبيين واليهود الذين لا يروق لهم أن يكون هنالك عالم إسلامى ينشر العدل والرحمة والمساواة بين خلق الله .

استطاع الصليبيون واليهود على مدى الأربعة عشر قرنًا الماضية أن يشنوا حملات عسكرية ( استعمارية واستئصالية ) وأخرى فكرية وثقافية ، وقد نجحوا فى بعضها وأخفقوا فى بعضها الآخر ، ولا يزال الاشتباك جاريًا حتى كتابة هذه السطور !

المفارقة فى زماننا أن الحملات تحوّلت من المجال العسكرى المباشر إلى مجالات أخرى غير مباشرة .. وخاصة فى المجالين السياسى والاقتصادى .. حيث يقوم بعض المنتسبين إلى الإسلام بتبنى الخطاب الصليبى اليهودى تحت عنوان « العلمانية » ، ومعناها أن يزيح المسلمون الإسلام من تنظيم حياتهم ومعاشهم وفكرهم وثقافتهم ، فيقبلون بالنموذج الغربى شكلًا وموضوعًا ، وخاصة فى الشكل ، لأن الموضوع فيه جوانب إيجابية ليس من صالح الغرب أن يستفيد بها المسلمون !

وفى الفترة الأخيرة بدا الصراع على أشده بين العلمانيين فى البلاد الإسلامية والإسلام .. ولأن القوم يسيطرون فى معظم العالم الإسلامى على مقدرات الفكر والثقافة والتوجيه ، فقد بات الإسلام من خلال منظورهم

العلمانى رمزًا للظلام والتخلف والهمجية والدموية والوحشية ، ومن ثمّ يجب صرف الشعوب عنه بوسيلة وأخرى .

ويقع العلمانيون فى مأزق شديد عندما تأتى الانتخابات النيابية أو النقابية أو الطلابية بذوى التوجهات الإسلامية ، تقوم القيامة ولا تقعد ، ويتنادى القوم فى كل مكان على الأرض الإسلامية ، تؤازرهم أجهزة الدعاية الغربية واليهودية بأن الظلام قادم ، وأن الوحوش فى الطريق ، ومن هنا يحلّلون كل الوسائل والأساليب ( من الحلال ضد الحرام ) لمنع الوحوش وتبديد الظلام !

ومن الطرائف أو العجائب فى هذا السياق أن فوز حزب الرفاه التركى الذى يتبنى توجّهًا إسلاميًا أثار الدوائر الصليبية واليهودية وخدّامها من العلمانيين فى البلاد العربية ، وبدأت صيحات الرعب تتوالى من هنا وهناك بأن حكم الرفاه لتركيا ( الإسلامية ) عودة إلى الظلام ، ومغامرة خطيرة ! لماذا ؟

السبب الأساسى والبسيط هو أن القوم لا يريدون أن يكون للإسلام وجود خارج القبور !

لقد تنفسوا الصعداء عندما أخفق زعيم الرفاه فى تشكيل حكومة بمفرده ، ثم حبسوا أنفاسهم مرّة أخرى عندما بدأ الحديث عن تشكيل حكومة ائتلافية مع حزب آخر ، وراحوا يتحدثون عن ضرورة إبعاد الرفاه عن وزارات الخارجية والدفاع والتعليم والاقتصاد ، لأنه لا يليق بحزب إسلامى أن يتولى مثل هذه الوزارات .. يكفيه الوزارات الثانوية التى لا تؤثر فى مصير البلاد وقراراتها الاستراتيجية !

قبل فترة كان أحد العلمانيين فى العالم العربى يناقش قضية التعليم فى بلاده ، فذكر أنه يتنازعها عدد من التوجهات وذكر منها الوطنى والغربى واليهودى والإسلامى ، فتحدث عن الجميع برفق وهدوء ، إلا الإسلامى ،

فقد صبّ عليه جام غضبه ، لأن أنصار الظلام والتخلف - فى رأيه - هم الذين يتبنّونه ! إلى هذا الحدّ صار الإسلام مرعبا للقوم ومخيفًا مما يترتب عليه - فى مفهومهم - ضرورة نفيه من حياة المسلمين !

ترى إلى أى مدى ستستمرّ الحرب ضد الإسلام ووصمه بالظلام أو وصفه بالإظلام ؟

الإجابة ترتبط بمدى قدرة المسلمين على احتضان الإسلام : شريعة وعقيدة ، تصوّرًا ومنهجًا ، فكرًا وسلوكًا ، والعض عليه بالنواجذ ، والقبض عليه مهما كانت العواصف والزوابع ، وساعتها سيتراجع الكثيرون من أعدائه عن التمادى فى الغىّ والكيد ، وإن كانوا بالطبع لن يتراجعوا عن الحقد والكراهية .. والله فوق الجميع .

* * *

# الإسلام هو الحل

بعض كُتَّابنا المشهورين يعانون من مشكلة لا يعترفون بها ، أو لا يحبون الاعتراف بها ، وهى ضعف محصولهم الثقافى فى مجال المعرفة الإسلامية . فى الوقت الذى يتباهون فيه بعمق ثقافتهم الأجنبية وقراءاتهم فى الفلسفات الغربية المعاصرة تحديدًا ، وكثيرًا ما يستشهدون بهيجل وسارتر وماركس وأنجلز ولينين وسبينوزا وكانت ، وغيرهم .

المعرفة الإسلامية تمثل لهؤلاء المشاهير نوعًا من الفلكلور غير المحبوب ، بل إن الواحد منهم فى بعض الأحيان يظل وجهه مسودًا وهو كظيم ، إذا طُرح أمامه الموضوع الإسلامى فكرًا أو تصورًا أو تطبيقًا .. ومن ثم نجد نفورًا غريبًا لديهم من التعامل الموضوعى والعلمى مع المعرفة الإسلامية أو القضايا الإسلامية بصفة عامة .

ولسنا فى مجال الحديث عن الأسباب التى أدت إلى هذا السلوك من جانب بعض المشاهير فى عالم الكتابة ، ولكننا نرصد واقعًا غير طبيعى ، فى مجمتع مسلم ، يُفترض فى مثقفيه أن يكونوا على وعى بتفاصيل الرؤية الإسلامية ومعطياتها على الأقل من باب العلم بالشىء !

عندما طُرح فى الخطاب الإسلامى شعار « الإسلام هو الحل » امتعض كثير من مشاهير الكُتاب ، وبادر البعض إلى التشهير به ، والبعض الآخر إلى النظر إليه شزرًا ، وصمت البعض الثالث كى لا يحسب عليه موقف ، ولكن الجميع فيما يبدو كانوا رافضين ، بوصف الإسلام فى مفاهيمهم مجرد عبادة لا تتعدى الجدران الأربعة التى تشكل الكيان الخارجى للمسجد !

سئل أحدهم مؤخرًا عن رأيه فى الشعار ، فرفضه بطريقة مهذبة ، ووصف الإسلام بأنه نور ، يستفيد به الأشخاص ، وليس المجتمع .. أى إنه

أمر ذاتى فقط ، ولا علاقة له بحياة المجتمع ومستقبله .. ولو أن صاحبنا المهذب امتلك الوعى المعرفى بالإسلام ، لما رفضه ، ولما فهمه على نحو مغاير .. فالإسلام يختلف بالضرورة عن النصرانية واليهودية والأديان الوضعية ، وجاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .. الظلمات بكل ما تعنيه من ظلم وقهر وجهل وتخلف وعبودية لغير الله ، والنور بكل ما يعنيه من حرية وعدل وعلم وتقدم ورضا الله . الإسلام ليس كنيسة أو كهنوتًا يختص به بعض الناس ، ويُستدعى فى بعض المواقف ، ولكنه يعيش مع المسلم منذ الميلاد حتى الموت ، فى الصحو والمنام ، فى العمل والراحة ، فى النهار والليل ، فى الصلاة والحج ، والصوم والزكاة ، فى التعامل مع الناس والحيوانات ، فى المأكل والمشرب .. إنه حياة بكل معنى الحياة .

وعندما يُطرح شعار « الإسلام هو الحل » فهو كذلك بالفعل ، لأنه يرتّب شئون المسلم فى العقيدة والعبادة ، والسياسة والاقتصاد ، والتعليم والثقافة ، والماضى والحاضر ... إلخ ، ولو أن كاتبنا الكبير كان على وعى جيّد بالمفاهيم الإسلامية لأدرك أن الإسلام كان حلًا لكثير من الأمم التى أخذت ببعض قيمه الجوهرية ، فانتصرت بعد هزيمة ، وارتفعت بعد تخلف ، وتوحّدت بعد تفرّق ، وقويت بعد ضعف ، ولأن المسلمين لم يأخذوا بشىء من قيم الإسلام الجوهرية فإنهم لم يحققوا أىّ إنجاز يذكر ، وتحوّلوا إلى قصعة للأمم كما توقع البشير النذير صلى الله عليه وسلم .

خذ أية دولة متقدمة فى العالم ستجد أنها ترتكز فى تقدمها على القيم الجوهرية للإسلام : الحرية ، العدل ، المساواة ، الشورى ، ثم نقّب عن هذه القيم فى معظم الدول الإسلامية ، وقل لى أين وجدتها ؟ وأنا واثق أنك لن تجدها ، لأنها مُصادرة وممنوعة ، لذا عاش المسلمون عبيدًا لا كرامة لهم ، ولا دور لهم فى بناء أمتهم وأوطانهم .. يؤمرون فيطيعون ، وإلّا فإن لغة القمع هى اللغة السائدة والمعترف بها .

وفضلًا عن ذلك ، فالإسلام وضع لنا حلولًا ناجعة فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والأمن والبناء والتعمير واقتحام العقبات وهزيمة الأعداء .

## هذا أوان العفو والمصالحة

يمثّل الاتجاه إلى وحدة الصف العربى الإسلامى تيارًا عامًا تؤيده الشعوب والحكومات وقد تجلّى ذلك فى مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى القاهرة قبل أسابيع ، وقامت فيه مصر بدور بارز فى جمع الدول العربية ، عدا العراق ، على مائدة واحدة .

وبصرف النظر عن النتائج التى وصل إليها المؤتمر فإن مجرد التقاء الحكومات عبّر عن غبطة شعبية ، عبّرت عن نفسها بارتياح الشارع العربى والإسلامى إلى توحيد الموقف العربى وبدء التصالح بين الحكومات العربية . وسرّ الارتياح لا يخفى على المراقبين المحليّين والخارجيين ، إنه التقاء الجهود العربية فى مواجهة الغطرسة اليهودية التى تجاوزت كل الحدود .

أيضًا .. فإن زيارة الرئيس مبارك إلى تركيا ولقائه برئيس الدولة ورئيس الوزراء ونائبته ، لتطويق آثار الاتفاق اليهودى - التركى ، والتقارب مع دولة إسلامية كبرى ، كانت خطوة مهمّة لقيت ترحيبًا شعبيًا على مستوى العالم العربى والإسلامى .

كذلك .. فإن المحاولات التى تعثرت لاستعادة العلاقات الطبيعية مع إيران والسودان ، أنعشت الشارع العربى الإسلامى بإمكانية تجميع القوة العربية الإسلامية فى مواجهة الصلف اليهودى الذى فاق التصّور ، وصار - متكئًا على الدعم الصليبى الأمريكى - لا يعبأ بالقانون الدولى أو حقوق الإنسان أو ردّ الفعل العربى الإسلامى .. وكل عربى ومسلم يتمنى أن تنجح محاولات لمّ الشمل العربى الإسلامى ، وتوحيد الصف وتنقية الأجواء وتوجيه الطاقات لبناء القوة العربية الإسلامية ، حيث إن اليهود لا يفهمون

على طاولة التفاوض إلا لغة واحدة ، هى لغة القوة ، وبقدر ما تكون قويًا فإن صوتك يصل إلى أسماعهم .. أما إذا انتفت القوة فلن يصغى إليك أحد !

وإذا كان الجهد الذى تبذله مصر على المستويين العربى والإسلامى يحظى بترحيب شعبى شامل ، فإن الجهد الذى لم يُبذل بعد ، هو توحيد القوى الداخلية فى مصر ، وتجميع طاقات الشعب كله ، وتهدئة النفوس ، وتطمين الخواطر ، ليلتف الجميع حول غاية كبرى هى تفويت الفرصة على العدو اليهودى وداعمه الصليبى الأمريكى فى تفتيت الوحدة الشعبية وإثارة الفتن ، وجرّ البلاد إلى معارك هامشية تهدر طاقاتها ، وتؤخر حركتها إلى الأمام ، وتعوق إمكانات إبداعها وتفوقها ، وتدخلها إلى الدائرة الجهنمية حيث تصير لقمة سائغة لكل طامع ، وقصعة جاهزة لكل آكل .

لقد مضت سنوات طوال على العنف والعنف المضاد ، وما زالت القوانين الاستثنائية تكبّل الشعب بالقيود والأصفاد ، وحكم الطوارئ يمتدّ عامًا بعد عام ، والديمقراطية الشكلية تثير من الإحباط أكثر مما تحفز إلى العمل والتفاؤل ، والمجالس النيابية تعبّر عن مصالح بعض الانتهازيين ، والمنتفعين بكل سلطة وحكومة ، ومراكز القوى عادت أشدّ وأعتى تدعم رجالها ونفوذها وتحفظ غنائمها وفوائدها ، والفاسدون المفسدون يتحركون بهدوء وثقة ، ويستمتعون فى اطمئنان ورفاهية ، والشرفاء المجاهدون يُحاكمون أمام المحاكم العسكرية ، ويُغيّبون وراء الأسوار .. وأجهزة الدعاية تنفث سمومها ، وتبث أوبئتها ، وتدمّر الشباب ، وتقضى على الأخلاق ، وأجهزة الثقافة تروج لكل ما هو معادٍ للإسلام ، ومنافٍ للفضيلة ومثير للقبح والدمامة .. حتى بات الإسلام وكأنه العدوّ الأول للدولة وأجهزتها الأمنية ، ولك أن تحصى عدد القضايا التى يتم الإعلان عنها بصورة شبه أسبوعية ويُتّهم فيها العشرات من الشباب المسلم بتكوين منظمات غير قانونية أو تدبير انقلابات ، أو الإعداد لعمليات عنف وقتل ونسف !

لا ريب أن عدم الاستقرار الداخلى يؤثر على قوة الدولة ، ويضعف

هل من الصواب إزاحة الحركة الإسلامية عن المشاركة فى العمل الوطنى وهى التى تمثّل الأغلبية الحقيقية والفعلية ، فى الوقت الذى يتم فيه تلميع كتّاب التقارير وأنصار النظم الشمولية ودعاة التبعية ؟

لقد جلس الرئيس مبارك مع « نجم الدين أربكان » الذى صار رئيسًا لوزراء تركيا ، ولا شك أن السيد الرئيس وجد فيه مسلمًا واعيًا وليس غولًا مفترسًا ، ووجد فيه مهندسًا نابهًا أسهم بجهد كبير فى بناء الصناعة التركية ( الصناعة الميكانيكية على وجه الخصوص ) ، وليس جاهلًا أبله غائبًا عن الدنيا وما فيها [1] .

والسؤال الآن : لماذا لا يستدعى الرئيس زعماء الحركة الإسلامية وغيرهم من الوطنيين للاتفاق على المنهج الذى تتطلبه المرحلة ؟ وأظن أن الجميع سيتجاوبون معه لمصلحة مصر والأمة الإسلامية جميعًا ، وسيقفون صفًّا واحدًا لدعم السياسية التى يتم الاتفاق عليها من أجل ديننا وأبنائنا ومستقبلنا ؟

إن الرئيس مبارك هو الوحيد الذى يحتفل بالمولد النبوى الشريف احتفالًا رسميًا بين رؤساء الدول العربية الإسلامية ، وهى نقطة تحسب له تحت أى ظرف ، وحبّذا لو ضمّن احتفاله هذا العام إطلاق سراح سجناء الضمير من الإسلاميّين ، والشباب الإسلامى الذى حكمت المحاكم ببراءته وأعيد اعتقاله بموجب قانون الطوارئ .. إن مثل هذا العفو سيكون له أثره الكبير فى نفوس الآباء والأمهات والزوجات والأبناء الذين افتقدوا ذويهم وراء القضبان بسبب آرائهم وافكارهم .. وليكن العفو خطوة للمصالحة الشاملة ، يتفرغ بعدها الجميع لبناء الوطن والإسهام فى رقيّه .. وأيضاً ليكن العفو ضربة قاصمة للأشرار المحرّضين الذين لا يعيشون فى غير أجواء الفتنة والمحنة والكوارث .

نسأل الله أن يوفق الجميع إلى ما يحبّ ويرضى ، وأن يجنّب الوطن كل سوء .. واسلمى يا مصر .

---

(١) تمت إزاحة أربكان عن السلطة ، وحلّ حزبه من خلال انقلاب ( أبيض ) قاده الجيش التركى ، كما سبقت الإشارة !

## بحثاً عن التعايش وعودة الروح!

مشكلتنا ليست مع أمريكا الصليبية أو اليهود القتلة ، بقدر ما هى مع أنفسنا ، فقد أخفقنا منذ عدّة عقود فى التعايش السلمى فيما بيننا ، ونبذنا المنهج الإسلامى الذى يحض على الأخوة والمساواة ، ونسينا بدهية الإسلام الأولى « **كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟** » وأصرّ فريق منا أن يكون سيّدًا وأن يكون الناس ( أهله وشعبه ) عبيدًا لا يحق لهم الكلام إلا بإذنه ، ولا الحركة إلا بأمره ، ومن يخرج على النصّ فهو ثورة مضادة ، وهو منشق ومتمرّد ورجعى ولا يستحق شرف المواطنة ،ومع تطورّ المدنيّة ، وتقدّم الدعاية ظهر فريق من المنافقين لديهم القدرة على الترويج لأهواء السادة ورغباتهم ، وتسويغ إرهابهم وجبروتهم ، وتحويل الباطل إلى حق ، والحق إلى باطل ، دون أن تهتزّ ضمائرهم أو تخفق قلوبهم ، فقد ماتت ضمائرهم وقلوبهم جميعًا .. وصار أمرًا عاديًّا أن يُحاكم الشرفاء ويمرح السفهاء وتختلّ موازين العدالة فى بلاد العرب والمسلمين !

ولم يعد أمرًا مستغربًا أن يكون عدم المبالاة هو السمة المميزة لأغلب الناس ، وأن تكون البلادة قاسمًا مشتركًا بين الشعوب ، بعد أن تفشّى القهر ، وتمطّى الرعب ، وساد الخوف ، واستطال النبّوت .

لهذا تستطيع أمريكا الصليبية واليهود القتلة أن يضربوا العرب والمسلمين وقتما يشاءون ، وبالطريقة التى يريدون ، ولا يجدون أدنى مقاومة حتى ما كان يسمى منذ زمان « بالشجب » صار عملة نادرة ، لأن ما تواجههُ الشعوب من سادتها المحليّين قتل فيهم روح المقاومة ، وسلبهم نبض الحياة الحرة الكريمة ، فتحوّلوا إلى عبيد أو شبه عبيد ، يأكلون كما تأكل الأنعام والاستكانة مثوى لهم !

هجاء أمريكا الصليبية واليهود القتلة لا جدوى منه ، لأنهم يسرحون ويمرحون دون أن يعترضهم أحد ، بل تطوّع بعض الأشاوس والنشامى بتأييدهم ومساعدتهم والمسارعة فيهم ، لذا فإن معرفة الداء الذى يفتك بنا ومعالجته يصبح أمرًا مهمًّا وضروريًا كى تعود الروح إلى الجسد المتهالك ، ويتحرك القلب فى الكيان الخامد ، ولا عودة للروح ولا حركة للقلب إلا بالحريّة .. تلك الكلمة الملعونة – على حدّ تعبير « نجيب محفوظ » – هى مفتاح الأمل المرتجى ، وهى لبنة البناء الأساسية للحاضر والمستقبل ، كما كانت فى الماضى مذ جاءت دعوة التوحيد ترفع راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فانتفى الجبروت الإنسانى والطغيان البشرى ، وصار كل ما عدا الله مجرد إنسان يمشى على الأرض ، ويستعد ليوم الحساب الأعظم ، مما جعل صحابيًا جليلاً ، وخليفة عظيمًا مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرتعد كلما تذكّر يوم القيامة وعرف أنه سيعرض على ربّه ، مع أنه من العشرة المبشرين بالجنة !

الحرية هى القيمة الأساسية فى الإسلام ، والكرامة البشرية هى العنصر المتوّج لها والمعبّر عنها فى ديننا الحنيف .. فأين ذلك مما نحن فيه اليوم ؟

لقد قام السادة الجبابرة الطغاة بسلب العرب والمسلمين الحرية والكرامة جميعًا ، فلم يَعد لشعوب الأمة كيان حقيقى ، ولا رأى فعّال ، ومن ثمّ اعتمد الأعداء فى تعاملهم معنا على أساس حذفنا من المعادلة تمامًا ( شعوبًا وأمة ) ، وصار تعاملهم مع السادة الذين يحكمُون ويتجبّرون وحدهم ، لأن هؤلاء أسلس قيادًا وأكثر امتثالاً وطاعة ، وخاصة إذا كانت لبعضهم مصالح خاصة أو كان بعضهم مجروحًا لسبب أو آخر .. العكس من ذلك يعاملون به الشعوب الحرّة التى تصوّت فى الانتخابات النظيفة حيث تظهر النتائج الحقيقية ، والفائز فيها يحقق عادة نسبة نجاح أو تفوق محدودة على خصمه ، ويلتزم ببرنامجه الانتخابى ، ويعامل شعبه باحترام دون استعلاء أو منٍّ أو أذى ! ومن ثمّ ، فإن الحاكم لن يتخذ قرارًا منفردًا ، ولن يتنازل للأعداء من تلقاء نفسه ، ولن يفرط فى أرض أو عرض .. لأن سياسته

محكومة أولًا وأخيرًا بإرادة الأمّة وصندوق الانتخابات الذى يسمّى فى الإسلام « البيعة » .

ما يجرى على الساحة العربية الإسلامية الآن مأساة بكل المقاييس ، فحاكم بغداد الفرد الواحد مثلًا ؛ افترس شعبه ، واغتال كرامته ورجولته ، وباعه مجانًا لأعداء الله والعرب والمسلمين ، ودخل بتحريض الأعداء وخداعهم – حروبًا غير مشروعة ، وغير مجدية – فخسرت بلاده ثروتها وقوتها وكرامتها .. وخسر الأشاوس والنشامى ثرواتهم وقوتهم وكرامتهم ، وعرف الناس بعد الخسارة أن حرب إيران لم تكن مشروعة ، واحتلال الكويت لم يكن مُسوّغًا ، وأن مئات المليارات من الدولارات ، وعشرات الألوف من الرجال ، وألوف المؤسسات والمصانع والبيوت كانت خسائر عبثية ، ذهبت فى الدخان وجوف الأرض ، وتحوّلت إلى رماد وأطلال دون سبب حقيقى واضح يسوّغ التضحية بها ، وتقديمها قربانًا فى معبد الطغيان والجبروت !

ليس حاكم بغداد بدعًا فى هذا السياق فأمثاله كثيرون شرقًا وغربًا ، لم تتأكد شوكتهم إلا على أهليهم وذويهم وأشقائهم .. وكانت نتائج الجبروت والطغيان أن الأغلبية الساحقة من الحكام العرب المسلمين يسارعون فى أعداء الله ورسوله والمسلمين ، ويطلبون منهم الرضا والغفران ، ويسألونهم العون والمساندة ضد شعوبهم وإخوانهم !

ما يحدث للشعب العراقى يُدمى القلب ويُفجّر الدمع مدرارًا ، سواء للأكراد أو للعرب ، ويستدعى من العرب والمسليمن أن يقفوا إلى جوار هذا الشعب التعيس فى محنته الدامية ، ولن يكون الوقوف فعّالًا ومجديًا إلا إذا راجعت القيادة العراقية نفسها بما يحقق مصلحة شعبها أولًا وأمتها ثانيًا ، أيضًا لابد أن يتعظ الحكام العرب مما جرى ويجرى فى الواقع العربى ، والتاريخ العربى القريب على الأقل ، فالعالم الصليبى لن يكون رءوفًا بهم مثل شعوبهم ، ولن يكون ناصحًا أمينًا لهم مثل الشرفاء والأطهار من أهل الرأى والخبرة والإيمان فى بلادهم .. فمذ وضع الصليبيون أقدامهم فى العالم

العربى الإسلامى زرعوا بذور الحقد والفرقة والفتنة والبغضاء والكراهية بين الشعوب والحكام ، وبين الطوائف والمذاهب والأعراق وبين بعضها البعض .. ويبدو أن زراعته كانت ناجحة لأنها وجدت أرضًا خصبة بالفراغ العقدى ، ممهّدة بالقمع الفكرى « مسمّدة » بالتبعية والإلحاق والإبهار بالنموذج الغربى .

إن التعايش بين الشعوب العربية وحكامها وأتباعهم من المثقفين الذين يسوّغون جبروتهم وطغيانهم ، صار أمرًا ضروريًا لمواجهة أمريكا الصليبية واليهود القتلة .. وبدون التعايش القائم على الحرية والعدل والمساواة والشورى لا يمكن للشعوب العربية أن تواجه الغطرسة الصليبية أو السفالة اليهودية ، فالعبيد لا يحرّرون وطنًا ولا أمّة .

إن استعباد الشعوب العربية الإسلامية من قبل حكامها لن يحقّق خيرًا للحكّام ولا الشعوب جميعًا ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وحين تفقد الشعوب الحرية فإنها لا تستطيع أن تؤمّن الحكام ضد إجرام أمريكا أو صنيعتها اليهودية .

إن مبادرة بالتعايش الحقيقى – وليس الديكور – بين الحكومات والشعوب ، سوف يحقق نتائج طيبة على كافة المستويات الحضارية والوجودية ، وسيعطى الحكام قوة حقيقية فى مواجهة أعداء الأمة ، ويفجر طاقات الشعوب لمساندة حكّامهم والوقوف من ورائهم بكل إمكاناتهم صفًّا واحدًا راسخًا .. وعندئذ سوف يحسب الأعداء حساب العرب والمسلمين ، ولن يحذفوهم من المعادلات الدولية أو الاستراتيجية .. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو القوى العزيز .

واسلمى يا أمة الإسلام .. واسلمى يا مصر .

* * *

# آن لنا أن نتصالح

قبل فترة فتح الرئيس السورى باب التصالح مع « الإخوان المسلمين » وعاد منهم عدد غير قليل إلى وطنه ، أملًا فى المشاركة والبناء ودعم التفاهم والوئام .. وقبل ذلك أعلن السلطان « قابوس » فى عُمان عفوه عن سجناء الرأى فى بلاده من إسلاميّين وغيرهم .. وقبل الجميع أعلنت الحكومة البريطانية عن قبول وقف إطلاق النار وبدء التفاوض مع زعماء الثورة الإيرلندية ، وهناك شبه إجماع عالمى على أن التفاوض مع الخصوم السياسيّين يؤدى إلى مكاسب لجميع الأطراف ، فضلًا عن تحقيق الأمن والاستقرار للأوطان والشعوب ، كما يشحذ عزيمة الناس وهمّتهم من أجل أهداف كبرى وغايات عليا لا يختلف عليها أحد .

وقد عرفت مصر منذ القدم الأمن والطمأنينة لشعبها ولمن يلوذ بحماها ، وشبهها البعض بالجنة ، يدخلها الناس بسلام آمنين ، ولكن قوى الشرّ والإجرام فى العالم أبت إلا أن تزرع الفتنة فى داخلها ، وتشعل النار فى أعماقها ، وتبذر العنف فى أرجائها ، لأن فى قوّة مصر ردعًا للأشرار عن تحقيق مطامعهم التوسعية وأهدافهم الإجرامية ، وحين ينشغل المصريون ببعضهم ، ويقوم بعضهم بتصفية بعض ، فإن هذا غاية المرام لأعدائها وأعداء الإسلام جميعًا .

غنّى عن القول إن مصر المسلمة درع الإسلام وعاصمة النور ومقصد طلاب العقيدة والشريعة من كافة أنحاء العالم الإسلامى ، وقد اضطلعت بدورها الحضارى الإسلامى على مدى القرون الأربعة عشر الماضية ، فأضاءت عقول الكثيرين من الأبناء ، وردّت عاديات الكارهين ، وصدّت

غارات المستعمرين ، مما سجّله التاريخ فى صحائف من نور .. ولأنها العقل والرأس فإن الحراب والسهام والمؤامرات تتجه إليها دائمًا ، فسقوط العقل والرأس يعنى سقوط الجسد الإسلامى كله ، ولأنها لم تعرف يومًا العنصرية ، أو تميّز بين المنتسبين إليها والزائرين لها ، فقد مثلت فى سجّل الحضارة الإسلامية أرقى صورة من صور التعايش والتفاهم ، ولهذا فإن حراب الأعداء وسهامهم تضعها فى بؤرة المرمى دائمًا !

إن إضعاف مصر كان ومازال الهدف الأول لقوى الشرّ الدولية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة واليهود ، حتى يتسنّى لهما الانفراد ببقية الدول الإسلامية وتحطيمها ونهب خيراتها ، والسيطرة على مقدراتها السياسية والاستراتيجية .. أحداث الخمسين عامًا الأخيرة – على الأقل – تثبت هذا منذ أقيمت الدولة اللقيطة على أرض فلسطين ، وموجة الانقلابات العسكرية والحروب المتعدّدة التى أعقبت ذلك ، والخراب الاقتصادى الذى عمّ المنطقة مع كل ما فيها من خيرات وثروات وقدرات ، والنقطة الرئيسية التى ألحت عليها قوى الشرّ الدولية هى « إلغاء الحوار » بين الشعوب وقادتها .. أقصد بذلك الحوار المثمر والخلّاق الذى يبنى الحضارة والقوة والمجد ، وقد رأت المنطقة أبشع ألوان القمع والعسف والظلم الاجتماعى ، تحت مظلة شعارات متضاربة لم تثمر غير الخواء والعار والديون والتبعية ، وارتبط بإلغاء الحوار حرص واضح على أن تبتعد الأمة شعوبًا وحكومات عن هويّتها الحضارية وشخصيتها الإنسانية المتمثلة فى الإسلام ، واستخدمت قوى الشرّ لتحقيق هذه الغاية فريقًا من النخبة المثقفة انبهر بالغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى ، فكرّس حياته لمحاربة الإسلام والسخرية منه عبر الأحزاب والصحافة والأدب والفن ، مع الدعوة للنموذج الغربى بكلّ سلبياته !

وعندما استردت الأمة عافيتها ، أو شيئًا من عافيتها فى حرب رمضان ، وظهر للعالم أن مصر أو الأمة الإسلامية يمكن أن تحقق وجودها ، وأن تقف فى وجه الشرّ والعدوان بدأ حديث الفتنة الذى أنضجته زيارة القدس

واتفاقيات الإذعان مع العدوّ اليهودى ، والاستسلام للشيطان الأمريكى ورغباته .. وكان ما كان .. حادث المنصّة ومضاعفاته ، بعد اعتقال علماء الإسلام وشبابه وقادة الأحزاب المعارضة وأصحاب الرأى ، ورافضى الإذعان والاستسلام .

جاء الرئيس « مبارك » ، وبشّر بعهد جديد من التفاهم والتسامح ، فأطلق سراح السجناء ، واستقبل بعضهم فى القصر الجمهورى ، وبدأ بسيطًا وقريبًا من الناس فى سلوكه وتعاملاته وزياراته ، وتفاءل الناس بعصر جديد يقوم على الفهم والتفاهم والتعاون بين كافة القوى .. ولكن تجرى الرياح بما لا يشتهى السَّفِنُ .

تغيّرت الأحوال ، وتمّت إقالة وزير داخلية معتدل اسمه « أحمد رشدى » بعد أحداث الأمن المركزى ، وقيل يومها : إن تجار المخدرات كان لهم دور كبير فى هذه الأحداث من خلال بعض المسئولين .. المهمّ جاء وزير آخر حمل راية العنف والبذاءة ، ونفّذ مخطط إشعال البلاد ، حين أعلن عن الضرب فى المليان ، والضرب فى سويداء القلب ، واغتال - كما قيل - عددًا من أعضاء الجماعات الإسلامية ، وراح يلفّق التهم لآخرين ويتطاول على السياسيين والعلماء بالسبّ والقذف ، حتى طالت بذاءاته من لا يتسامحون معه ، فكانت إقالته العاصفة التى كان لها صداها الواسع فى أرجاء مصر والعالم العربى جميعًا .

جاء وزير جديد آثر أن يكون أكثر تشدّدًا من سلفه ، وأعلن أنه لن يتردّد فى « تثقيب الأجساد » أى جعل الأجساد مثقبة من كثرة الرصاص التى يطلق عليها ، وبرّ بوعده ، وذهب إلى بعض مناطق الصعيد مدججًا بأربعين ألفًا من الضباط والجنود والمدرعات والزوارق والطائرات المروحية ، وكان قتل ودماء وكانت دموع وبكاء .. وتم فرض حظر التجوّل ، وطالت المأساة كثيرين ، ليسوا من الجماعات الإسلامية ، بل من عامة الناس ، واشتعلت حرب الثارات التى دخلتها أطراف أخرى من مصلحتها استمرار

الفتنة وإشعال النار ، وتحويل حرب الثارات إلى حرب أهلية تشبه ما يجرى على أرض الجزائر الشقيقة .. ومع أن الوزير الذى تحدث عن تثقيب الأجساد قد ذهب ، فمازالت الفتنة قائمة ، والنار مشتعلة .

السلطة تعلن كل يوم عن اندحار الإرهاب ، ولكن الأنباء تأتى بالحديث عن قتلى وجرحى ، يتساقط ضباط وجنود وأفراد من المسلّحين المجهولين ، وعصابات المرتزقة من أصحاب الأقلام المتعهّرة يرقصون على أنغام سقوط القتلى والجرحى من الجانبين وأزيز المشانق التى يتدلى منها العديد من المتهمين ، ثم يطالبون باستئصال الإسلام ، لأنه سبب الإرهاب ، وصار الإرهاب كلمة « الشفرة » المتعارف عليها بين الأقلام المتعهرة لمحاربة الإسلام واستئصاله ، وحرمان الإسلاميّين من الديمقراطية ، وإزاحتهم من مجالس النقابات والاتحادات التى ينتخبون للمشاركة فيها .. وصار كل متديّن إرهابيًا وقاتلًا ، وصار الدين - الإسلام - رمزًا للإظلام ومرادفًا للتخلف ، ودليلًا على العصور الوسطى الأوربية !

حرب الثارات فرصة مثالية لقوى الشر الدولية وخدّامها فى الداخل ، لتحقيق غايات مرحلية مهمّة منها إقصاء المتدينين المسلمين عن مجالى التعليم والفكر والثقافة والصحافة والإعلام والنيابة والقانون والجامعات .. حتى الأندية الرياضية يتم إقصاؤهم عنها .. فضلًا عن ذلك إشاعة رأى عام يؤكد أن الإسلام منبع العنف ودائرة الخطر ودليل التخلف ، مما يعنى ضرورة إبعاده عن الوجدان والعاطفة والشعور ، حتى يكون الفرد مستنيرًا وتقدميًا وعصريًا ومستقبليًا !

لا يقف الأمر عند هذه الحدود بل أخذ التشكيك فى قيمة الفرائض الأساسية الخمس يأخذ طريقه إلى الخطاب المتعهّر وذلك بالتشكيك فى حكمة مشروعية الصيام عن طريق تفسيرها تفسيرًا ماديًا رخيصًا يرتبط - كما يقول الخطاب - بعسكرة مجتمع المدينة الذى أسسه الرسول ﷺ .

إذًا .. فإن حرب الثارات تعطى للقوم مدى رحبًا فى الزمان والمكان للإجهاز على قيم الشعب وأخلاقه ومثله من خلال القضاء على هويته وأساس مقاومته للشر والعدوان .. لذا يريدونها أن تستمرّ وتنمو وتتسع ، فيحقق فرقاء الشرّ أهدافهم ، كل بطريقته وأسلوبه .

لم نسمع يومًا عن كلمة طيبة من هؤلاء ، تسعى لوقف العنف ، والرفق بالشعب المظلوم الذى يعانى من هذه الحرب وآثارها ، ولكنهم يؤججّون النار ، بالنفخ فيها ، والمطالبة بالمزيد من الدم !

لقد آن الأوان أن يكفّوا عن أسلوبهم الشرير ، ويتوقفوا عن تحريضهم الرخيص ، فمن العار أن يدعو هؤلاء إلى التفاوض مع العدوّ اليهودى ومصالحته ومسالمته ، وفى الوقت ذاته يطالبون باستمرار الحرب الداخلية .. من أولى بالتصالح والتسامح بل والتنازل : شركاء الوطن مهما كان وصفهم ، أم الغرباء الذين أذلّونا ووضعوا حذاءهم النووى فوق رقابنا ووصفونا بالوحوش فى غابة ؟

لقد آن الأوان لتدرك السلطة والجماعات أن العنف المتبادل ، والثارات المشتعلة لن تحقق لأحدهما نصرًا على الآخر ، لأن الخاسر الوحيد هو الشعب ، والرابح الوحيد هو قوى الشرّ الدولية والداخلية .

صحيح أن جنزير السلطة أقوى من جنزير الجماعات ، ولكنه لن يستطيع استئصالها لأن طالب الثارات لا يحرص على شىء ، حتى حياته يهدرها على أية طريقة كانت ، والمهم أنه يقطع بالعنف شوطًا فى سبيل الثأر الذى يطلبه ، أيضًا فإن الجماعات لن تستطيع أن تهزم السلطة فى ظل موازين القوى الراهنة ، فهى تملك جيشًا خاصًا مجهّزًا بأحدث التجهيزات لتعقبها واستئصالها فى الداخل والخارج ، والشعب لا يحب العنف .. فضلاً عن كونه يعيش حالة من البيات أو « الموات » بعد أربعين سنة من القهر والإذلال ، واقتلاع أنبل ما فيه من قيم ومشاعر ، وتمكين اللصوص والخونة ومعدومى الضمير من أحشائه ومقدراته .

ما عاد الثأر مجديًا للطرفين .. وآن الأوان للنزول عند صوت العقل والحكمة ، ووضع حدّ للعنف المتبادل .

إن الثارات لا تطفئها طلقات الرصاص الغزيرة ، ولكن يطفئها التفاهم والتصالح .

دعونا من المقولات المستهلكة عن دور خارجى لهذه الدولة أو تلك ، فأى دولة معادية ، وخاصة تلك التى تظهر صداقاتها لنا مثل الولايات المتحدة ، لابد أن تستثمر أى وضع داخلى يتيح لها مكاسب معينة ، أيًا كانت هذه المكاسب ، ولنتذكر دائماً أن حكومتنا تصالحت مع اليهود فى فلسطين ، وتدعو غيرها إلى التصالح معهم ، لأن السلام كما ترى هو أفضل السبل للتعايش .. أليس من الأولى أن نتصالح مع بنى جلدتنا أيًا كانوا ؟

أعلم أن الأقلام المتعهّرة وأصحاب المصالح فى استمرار الفتنة سيخرجون بكلام كثير يسوّغ لغة العنف وضرورتها .. ولكن ثقتى فى الله أولًا ، ثم فى عقلاء هذه الأمة كبير ، فشعبنا ومعه الأمة الإسلامية بشعوبها يدفعون ثمنًا غاليًا لاستمرار العنف ومضاعفاته .

وآن الأوان أن تخرج الأنباء من مصر بأخبار الاكتشافات العلمية والاختراعات الجديدة ، والمصانع التى تقام والجامعات التى تشيد ، وقبل ذلك وبعده ، أخبار الديمقراطية الحقيقية ، والحوار الخلاق بين القوى المختلفة والاجتهادات المتعدّدة ، والاستعداد لمواجهة المستقبل بالعزيمة الصادقة والهمّة المتوثبة والإرادة الظافرة بدلًا من أخبار الدمع والدموع .. والله من راء القصد .

* * *

## العيب فى الإنجليز ؟!

الدهشة التى أصابت المصريّين نتيجة فوز حزب العمال البريطانى وتفوقه الساحق فى انتخابات أول مايو الحالى [1] على منافسه حزب المحافظين الحاكم ، دهشة مشروعة ولها مسوّغاتها المقبولة ، وإن كنت على المستوى الشخصى لم أندهش ، ولم أشعر بشىء غير عادى ، فالإنجليز اتفقوا فيما بينهم على التعايش السلمى الذى يقوم على أسس واضحة وراسخة ، منها : العدل والمساواة ، والشورى ، واحترام الإنسان وحقوقه أيًّا كان هذا الإنسان .

لذا فليس بمستغرب أن ينهض حزب العمال البريطانى ، ويشمخ بقامته السياسية وينتزع ما يقرب من ثلثى المقاعد النيابية فى مجلس العموم البريطانى ، وفى الوقت ذاته ينهار حزب المحافظين الحاكم ليفوز بأقل من ثلث المقاعد ، ويحتل حزب الأحرار والأحزاب الأخرى بقيتها .

لم يحدث فى الانتخابات الإنجليزية عراك أو عنف أو سقوط أو تعطيل للعمل أو إغلاق للصناديق أو ضرب المندوبين عن المرشحين أو تزوير فى التصويت ، أو قبض على المرشحين وأعوانهم ، أو إعلان نتائج ثم تتغير .. إلخ مما يحدث فى بلادنا واعتدنا عليه سواء فى الانتخابات التشريعية أو المحلية ( للإنصاف **فإن انتخابات كرة القدم وأنديتها** عندنا هى النزيهة وحدها ) .

تمت الانتخابات فى يوم واحد ، وأعلنت النتائج بعد منتصف الليل ، ولم يشْكُ أىّ من المرشحين من ظلم وقع به ، أو حطّ عليه .. حتى رئيس الوزراء « جون ميجور » الذى لقى حزبه هزيمة ساحقة ، ووقف ليعلن أنه

---

(١) مايو ١٩٩٧ م .

سوف يستفيد من المعركة الانتخابيّة ، وسوف يراجع سياسته ، ويدرس أسباب الهزيمة ويعالجها ، وكان فى الوقت ذاته يجمع أوراقه وحقائبه ويرحل بهدوء من مقر الحكومة البريطانية فى « داوننج ستريت » .

أما الحزب الناجح ، فقد أعلن رئيسه « تونى بلير » عن البدء فى تحقيق برنامجه ، واستعداده للنضال من أجل تحقيق هذا البرنامج لصالح الشعب البريطانى كله .

انتخابات نزيهة ومحايدة ، لا يفيد فيها المرشحون أقاربهم أو فلذات أكبادهم ، ثمنًا لتعصّبات عائلية ، أو انتماءات حزبية ، أو انحياز فكرى .. ولا تترك وراءها غبارًا من قذارة الإعلانات ولوحات الدعاية والتأييد ، وصور المرشحين .. والفضيحة الدولية المزمنة التى تتحدث عن شكلية الانتخابات وتزييفها لإرادة الناس أو كونها تمثيلية هزلية لا تعبّر عن ديمقراطية حقيقية .

يلاحظ أن المرشحين الإنجليز لا يتقدمون إلى المحاكم البريطانية لإثبات بطلان الانتخابات فى معظم الدوائر كما يحدث عندنا ، إنهم قوم صادقون مع أنفسهم ، وليس لديهم وقت لتضييعه فى المماحكات القضائية أو الصحفية .. فالقوم يعرفون قيمة الوقت ، ويقدسون الانصراف إلى العمل والإنتاج ولا يحبون اللغو والثرثرة .. وكل حزب يستعد عقب إعلان النتائج للانتخابات القادمة بالجهد والفكر والإقناع والبرامج العلمية التى تحقق أمانى الشعب الإنجليزى .

إن الظواهر الانتخابية التى تحدث عندنا ( وأسميها ظواهر انتخابية تجاوزًا ) لا نجد لها نظيرًا لدى الشعب الإنجليزى ، مع أن عمر الحياة النيابية عندنا وعندهم متقارب نسبيًا ، ولكنهم يتقدمون ونحن نتقهقر .. فما السرّ فى ذلك ؟

السرّ بسيط ، ولا يحتاج إلى كلام كثير أو شرح أو تعليل .. القوم

هناك إذا عملوا فى السياسة أتقنوها ، وإذا عملوا عملاً آخر أتقنوه أيضًا ، لأن مبدأ التعايش السلمى الحقيقى يدفع الجميع إلى العمل .. ولا شىء سواه .

أما نحن ، فلا سياسة عندنا ، ومن يزعم غير ذلك ، فإنى أقول له : هناك فرق بين العمل السياسى والوظيفة السياسية .. فى الأول يعطى المواطن مستقلًا أو حزبيًا ما يملكه من أجل الوطن ، وفى الثانية فإنه ينتظر أن يأخذ ويقبض ثمن وظيفته .. ومن ثمّ نجد التهالك على الترشيح للانتخابات التشريعية والمحلية عندنا ، من جانب أُناس لا يفقهون العمل السياسى ، ولا يعنيهم أمر الوطن وشئونه ، ولكنهم ينظرون إلى ما سوف يحصدونه من ثمار انضمامهم إلى هذا المجلس أو ذاك .. فضلًا عن قربهم من السلطة التى تمثل صمام الأمان فى تحقيق المكاسب الخاصة والغايات الشخصية .. لذا لا تستغرب أن ينفق هذا المرشح أو ذاك القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فى الدعاية الانتخابية ومتطلباتها ، فالحصاد فى النهاية سيكون أضعافًا مضاعفة ، ولا تسل عما تجلبه الحصانة لصاحبها من خير عميم ، سواء كان هذا الخير مشروعًا أو غير مشروع ، وخاصة إذا كان العضو يجتهد فى ولائه للسلطة ورموزها ، ويعبّر عن تأييده المقرون بلفظة الروح ولفظة الدم [1] !

فى بلاد الإنجليز لا يفعلون ذلك ، ولكنهم يسعون من خلال الحياة السياسية الحقيقية التى لا تحكمها قوانين الطوارئ شبه الأزلية وشبه الأبدية ، إلى تقديم فكرهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لترقى بلادهم دائمًا ، وتظلّ على حال من القوة والرخاء ، لا تهددها المخاطر ولا الكوارث ولا المؤامرات .

المواطنون الإنجليز أحرار وشركاء فى الوطن ، ولا يشعر أحد منهم أنه ابن الجارية ، والآخر ابن الهانم ، مهما كان الوضع الاقتصادى أو الطبقى للمواطن .. فكلهم متساوون أمام القانون والدستور .. ولكننا حاولنا أن نقيم

---

(١) يقصد الكاتب الهتاف المشهور « بالروح .. بالدّم نفديك يا ... » ( الناشر ) .

نظامًا عجيبًا يعبّر عن المساواة السياسية ، فقلنا ليكن الممثلون للأمة خمسين فى المائة عمالاً وفلاحين على الأقل من بين مجموع النواب ، وأصررنا على أن يكون الجاهل والأمى على قدر من الاهتمام والمسئولية يماثل أو يفوق المتخصّص من أبناء الفئات الأخرى فى مهمّة ليس مؤهلًا لها ، ولا عالمًا بها ! ولا أظن دولة فى العالم تطبق الآن مثل هذا النظام العجيب !

إن الشمولية السافرة خير من الشمولية المقنعة ، فالأولى تقول للناس الحقيقة دون أن تكذب أو تتجمل ، وتوفّر على الأفراد والأحزاب الراغبة فى خدمة الوطن عناء العيش فى الوهم الكاذب والحلم الخادع .. والثانية تزعم أنها ( تمنح ) الشعب حرية غير مسبوقة ، أو أن الناس يعيشون أزهى عصور الديمقراطية ؛ انطلاقًا من الحرية المحدودة التى تسمح بالكلام على صفحات الصحف .. ولا أظن عاقلًا يتصور أن الحزب الواحد الذى يملك الصحافة وأجهزة الدعاية يتيح فرصة لتعبير خلّاق ، أو يهيئ لبناء ديمقراطى يشابه ما لدى الإنجليز أو حتى الهنود !

ومن المفارقات أن النظام الديمقراطى فى بلادنا سمح ببيع الشركات والفنادق والمؤسسات الحيوية تحت مسمّى « الخصخصة » ، ولكنه توقف عند الصحف والإذاعات وقنوات التلفزيون ، وأصرّ على استثنائها من البيع ، لتكون ملكًا له يكتسح بها الآراء المخالفة أو الأفكار التى لا يرضى عنها .. ومن ثم لا نعجب إذا كانت وسائل الدعاية تتفانى فى تسويغ كل قرار أو موقف أو حدث تصنعه الحكومة ، مهما كان مجافيا للمنطق أو المصلحة أو الأصول .

إن السياسى الحكومى فى بلادنا « موظف » يقبض راتبًا وامتيازات ، ليس على استعداد للتنازل عنها ، مهما كان الثمن مأخوذًا من دينه أو أخلاقه أو الحق والحقيقة .. لذا يوافق على القوانين الظالمة والمقيدة لحرية الناس ببساطة شديدة وسهولة أشد .

أما السياسى الحرّ - عندنا - فحظّه تعس ، لأنه يعيش فى غابة من القيود التى تحرّم عليه ، أو تحرمه من المشاركة الحقيقية فى خدمة وطنه وبلاده ، وخاصة إذا كان فى الدائرة المرفوضة من جانب الحكومة ، فتقصيه وتبعده تحت حجج شتى .

لذا يطاردنى دائمًا سؤال : لماذا تستمر الأحزاب القائمة غير الحزب الحاكم فى بلادنا فى انتظار تحقيق الحلم بإقامة ديمقراطية حقيقية ؟ ثم ما هى النتائج التى سيسفر عنها استمرار المشاركة فى الحياة الشمولية المقنّعة ؟

اليس من الأولى أن يجلس السياسى الحرّ فى بيته حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً ؟ وبالتالى يجنّب نفسه وأهله ومعارفه عناءً لا داعى له ؟

إننى لا أعمل بالسياسة ولا أحبّها ، ولكن الانتخابات فى بريطانيا أثارت دهشة شعبنا ، ولم تثر دهشتى ، فأحببت أن أقول للناس : إن العيب ليس فينا ، ولكنه فى الإنجليز الذين يصرّون على كشف عوارتنا .. فاللهم استرنا ولا تفضحنا !

* * *

# « الجندرمة » فى خدمة الصليبية ؟!

خديعة كبرى أن يقال إن العلمانية تعنى فصل الدين عن الدولة ، وأن الناس فى ظلال العلمانية أحرار فى معتقداتهم وأفكارهم وأزيائهم وسلوكهم .. فهذا كله صار من قبيل اللغو فى عالمنا الإسلامى ، وثرثرة جوفاء فى محيط أمة الإسلام ، وخاصّة بعد أن تراكمت الأحداث فى الفترة الأخيرة لتؤكد على أن العلمانية فى ديارنا الإسلامية تعنى إقصاء الإسلام والمسلمين عن كل شىء بدءًا من السياسة حتى السلوك اليومى مرورًا بالعقيدة والفكر والاقتصاد والتعليم .. ومن لم يقتنع « بالإقصاء » ذاتيًا فهناك مؤسسات عاتية قادرة على إقناعه عنوة وفى وضح النهار وعلى رءوس الأشهاد .

وتركيا المسلمة ، عاصمة آخر خلافة إسلامية ، شاهد عيان ، يستمع إليها العالم كله فى أوقات الليل والنهار ، ويؤكد أن العلمانية تقبل جميع الشرائع والملل والمذاهب إلا الإسلام ، فهو مرفوض .. مرفوض .. مرفوض !!

بالانتخابات الحرّة النزيهة ، فاز حزب الرفاه الإسلامى بأغلبية المقاعد فى تركيا ، ولأنه حزب يعمل بالإسلام ويتعاطى الشريعة الإسلامية ، فقد وقف العالم الصليبى على رأسه ، وأبى أن يقف على قدميه إلا بعد إزاحة حزب الرفاه عن تشكيل الحكومة التركية وفقًا لدستور تركيا العلمانى !

وبالفعل رأينا الأحزاب التركية العلمانية ترفض مشاركة الرفاه فى الحكم .. وتم تشكيل حكومة علمانية ضعيفة لم يقدّر لها البقاء فى الحكم غير شهور قليلة ، قبلت بعدها المؤسسة العسكرية التركية الحاكمة ، أن يشكل الرفاه حكومة ائتلافيه مع حزب علمانى ( الطريق المستقيم ) لتستقر البلاد سياسيًا واقتصاديًا .

وطوال عشرة أشهر من تولى الرفاه قيادة الحكومة التركية ، والعالم الصليبين يهيئ البلاد لزلزال عسكرى داخلى أو خارجى .. ومع صبر « أيوب » الذى يملكه « نجم الدين أربكان » زعيم الرفاه ، فإن القوم لم يجدوا بدًّا من تهديد أربكان بخلعه علانية لأنه فى عرفهم تحدّى تقاليد العلمانية التركية التى أرساها الخائن التركى « مصطفى كمال أتاتورك » ، ثم إنه أتاح فرصة « للمتشدّدين الأصوليّين » كى يعبّروا عن أنفسهم فى حكم تركيا العلمانية .. وقامت المؤسسة العسكرية التركية الحاكمة ( الجندرمة ) باستدعاء أربكان مرتين لمناقشته طوال ساعات ممتدة من النهار والليل لتحذّره وتأمره بإيقاف التحدّى الإسلامى والتشدّد الأصولى ، وإلا فإن مصيره سيكون معلومًا للعامة قبل الخاصة .. وطلبت منه عشرين مطلبًا من عيّنة « منع الحجاب » وتقصير مدة إذاعة القرآن الكريم قبل المغرب فى إذاعة تركيا من سبع دقائق إلى ثلاث دقائق (!!) ، وإغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم والأئمة والخطباء !!

الحجاب تشدّد وأصولية ، أربع دقائق زيادة عن المعدل فى إذاعة القرآن - حفظ القرآن .. تعبير عن الأصولية والتشدّد فى مفهوم الجندرمة ! ومخالفة لعلمانية أتاتورك !

بالطبع لو أن رئيس الوزراء التركى كان يهوديًّا ما استطاعوا أن يوجهوا إليه أى انتقاد حين يرتدى الطاقية ، أو يصرّ على الطعام الكوشير أو عدم السير راكبًا فى الشوارع يوم السبت .. ولكن العلمانية التركية تعنى شيئًا واحدًا فقط هو إقصاء الإسلام ، واستئصاله ، ولو أدى الأمر إلى انقلاب عسكرى تباركه دول العالم الصليبى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

إذًا العلمانية فى بلاد المسلمين هى « صَلْبَنة » الإسلام ، ودفع المسلمين إلى تقليد العالم الصليبى ، والاقتداء به ، والسير وراءه فى ذل وتبعيّة .. وإلا صاروا متشدّدين أصوليّين ، ومتطرفين وإرهابيين أيضًا .

إن مصطلح « العلمانية » فى ديار الإسلام يعنى « الصَّلْبَنةَ » ولا شىء

غير ذلك ، وقد كان « أتاتورك » الخائن يريد إعلان تركيا دولة صليبية بعد إلغاء الخلافة .. كان يريد أن يكون صريحًا فى خيانته وتبعيته ، ولكن أصدقاءه ومستشاريه ( وخاصة الأجانب ) ، فضلوا عدم الإعلان وأصرّوا على حكاية « العلمانية » هذه لخداع الناس فى تركيا وبقية العالم الإسلامى .. وبعد سبعين عامًا اكتشف المسلمون أن « العلمانية » تعنى « الصَّلْبَنة » بكل وضوح ، وخدمة العالم الصليبى بصورة أوضح .

هل رأيتم ما فعلته « الجندرمة » التركية فى خدمة– الصليبية الدولية ؟

لقد احتضنت العدوّ اليهودى احتضانًا تامًا رغم أنف رئيس الحكومة المسلم « نجم الدين أربكان » وأعلنت عن علاقة عضوية مع الجيش اليهودى تتمثل فى تبادل الخبرات والطائرات ، وإقامة المناورات المشتركة والصيانة المتبادلة ، وفتح الأجواء التركية أمام الطيران اليهودى ليضرب أى نقطة فى شرق العالم العربى / الإسلامى .

فى الوقت ذاته تعلن « الجندرمة » التركية عن عدائها السافر لإيران وسورية والأكراد ، وهو موقف العالم الصليبى ذاته من هذه الأطراف التى لم تعلن صراحة تبعيتها المطلقة له ولزعيمته أمريكا .

لم تعد المسالة إذًا قائمة على فصل الدين عن الدولة كما يزعم الزاعمون هنا وهناك ، ولكنها فى ضوء الشمس رفض صريح للإسلام وما يمثله .. وما على الذين يريدون العيش بسلام إلا أن يستجيبوا « للصَّلْبَنة » وكل مطالبها ، وإلا حقّت عليهم اللعنة والضربة والعذاب المستديم ؟

من قال إن الحروب الصليبية قد انتهت ؟

إنها لم تنته ، ونحن فى الحرب الصليبية العاشرة .. وإن تغيرت الوسائل والأدوات والآلات .. ومن المؤكد أن بعض الجيوش فى البلاد الإسلامية صارت ركيزة صليبية ، وأصبحت تقوم نيابة عن العالم الصليبى بدوره فى استئصال الإسلام ، وقهر المسلمين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .



# ثالثاً: جراحات

## البوسنة المظلومة .. والقهر الصليبى !

فى إطار التطورات الجارية على أرض البوسنة والهرسك ، يبقى تسليح البوسنة ودعمها هما الحل الممكن والوحيد ، فالصرب اكتسحوا المسلمين بجيش مسلّح تسليحًا متفوّقًا هو جيش الاتحاد اليوغسلافى المنحل ، وفعلوا ما فعلوا من قتل وتدمير وتخريب واغتصاب وتشريد ، دون مقاومة تذكر !

والكروات قاموا بالشىء نفسه بجيش مماثل ، ثم فرضوا نفوذهم على مساحة كبرى من البوسنة ، وبعد اتفاق « دايتون » الذى حضر توقيعه الرئيس الأمريكى « بيل كلينتون » مع رؤساء صربيا وكرواتيا والبوسنة ، بدا أن الطرف الصربى والطرف الكرواتى غير مقتنعين بالاتفاق ، ويطالبان بتغييره لتحقيق المزيد من المكاسب السياسية والجغرافية ، وبدأ كل منهما يضع العراقيل فى المناطق التى يسيطر عليها ، فالصرب يخطفون المدنيين المسلمين الذين يمرّون بمناطقهم أو الأحياء التى يسكنونها ، ويمارس القناصة هوايتهم بقتل المسلمين أو اصطيادهم ، وتقوم المدفعية الصربية فى المرتفعات المحيطة « بسراييفو » بقصف المدينة الآمنة وتدمير عربة الترام الوحيدة التى تسير فى شوارع المدينة ، فضلاً عن استمرار رموز الإجرام الصليبى مثل « رادوفان كارازاديتش » و « ميلادوسفيتش » على رأس القيادة الصربية البوسنية فى مخالفة صريحة لاتفاق « دايتون » الذى يقضى بتقديمهما إلى محكمة مجرمى الحرب البوسنية المنعقدة فى « لاهاى » .

ويقوم الكروات من جانبهم بالعمل على الحيلولة دون توحيد مدينة « موستار » فى جنوب البلاد ، ومازالوا يمنعون المسلمين من المرور الاعتيادى فى الأحياء التى يسيطرون عليها ، وتدور الاشتباكات بين الطرفين من حين

لآخر ، وقد وقع عدد من القتلى فى هذه الاشتباكات .. فضلًا عن ذلك فإن الكروات يصرّون على عدم تسليم المناطق المسلمة المحررة فى شمال غرب البوسنة ، ويعملون على « كروتتها » باستخدام العلم الكرواتى والعملة الكرواتية ، وتصاريح المرور الكرواتية ، وتفتيش السيارات الداخلة والخارجة ، وفرض الجمارك عليها ... إلخ . مما يعنى أن الكروات يرفضون اتفاق السلام ، ويتحفزون مثل الصرب للانقضاض على المسلمين فى الوقت المناسب !

لا شك أن السنوات الأربع من الحرب الضروس قد أثبتت ان السلاح يمثّل ضرورة مهمّة فى تشكيل المواقف الدولية تجاه الاطراف المعنية فى حرب البوسنة . فالأطراف الدولية تؤمن بشىء واحد اسمه الأمر الواقع ، وهذا الإيمان ليس وليد اليوم ، ولكنه قديم قدم الوجود الإنسانى ، حيث القوة هى العامل الحاسم فى المواقف ، وفى تاريخنا القريب مصداق لذلك ، قضية فلسطين مثلًا ، تحوّلت من حق عربى إسلامى إلى واقع يهودى مدجج بالسلاح النووى والتقليدى ، يفرض شروطه على الجيران بكل صفاقة وصلافة .

إن اتفاق « دايتون » للسلام ، نتاج للأمر الواقع الذى فرضه السلاح فى ميدان المعركة ، وتمثل فى وجود منطقة نفوذ جغرافية تشمل نصف البوسنة تقريبًا ، ومنطقة نفوذ كرواتية تشمل نحو خُمس البوسنة أو أكثر .. لذا كانت المفاوضات محكومة بهذا الواقع العسكرى الذى صنعه السلاح .

إن البوسنيين العزل استطاعوا على مدى أربع سنوات أن يشكلوا جيشًا قوامه « ستون ألف رجل » مسلحًا بأسلحة خفيفة فى الأغلب الأعم مع بعض المدافع والدبابات ، واستطاعوا أن يستردوا نحو ثلث الدولة فى المعارك فى ظل ظروف صعبة صنعها حظر التسليح الذى فرضته أوربة وأمريكا على البوسنة ، وقد أتاح اتفاق « دايتون » إمكانية تسليح البوسنيين لتحقيق التوازن بين الأطراف فى الميدان ، وكانت الولايات المتحدة قد وعدت الرئيس البوسنى بتسليح الجيش البوسنى ، ولكنها سحبت وعدها الذى قدّمه

الوسيط الأمريكى اليهودى « ريتشارد هولبروك » وتسعى الآن منظمة الأمن والتعاون الأوربى إلى نزع السلاح من أيدى الجميع فى مفاوضات « فيينا » ، ومعنى ذلك أن الجيش الصربى والجيش الكرواتى سيقومان فى يوم ما باقتسام البوسنة وأهلها بلا سلاح !

ومن ثمّ ، فإن قيام العالم الإسلامى بدعم البوسنة عسكريًّا يُعد أمرًا فى غاية الأهمية ، وبخاصة فى المرحلة الراهنة ، فالدول الإسلامية تستطيع إمداد الجيش البوسنى بالدبابات والمدفعية والذخيرة ، ويمكنها إن تمدّها بالطائرات المروحية والصواريخ المضادّة للطائرات وأجهزة الرادار عن طريق الشراء أو الفائض الذى تملكه بعض الجيوش المسلمة ، كما يمكن تدريب الجيش البوسنى فى بلاده أو البلاد الإسلامية التى تملك الخبرة والمعلمين .

إن اتفاق « دايتون » هشّ ، ولن يصمد طويلًا ، وخاصة بعد العام المقرّر أن تبقى فيه القوات الاطلنطية لتنفيذه .. وبعد أن ترحل هذه القوات ستنفتح شهية الصرب والكروات لالتهام بقية البوسنة .. ترى هل يقوم المسلمون بواجبهم ؟ أم يكتفون بالصمت والفرجة وانتظار الخطوات الغربية ؟

* * *

# أساتذتنا الشيشان ؟!

هم أساتذتنا بلاريب ، لأنهم قدموا لنا – نحن العرب والمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها – درسًا بليغًا ، يجب أن نستوعبه ونتأمله ونحفظه عن ظهر قلب .

الدرس له وجهان : الأول هو التضحية ذات المقابل فى سبيل الاستقلال الحقيقى ومواجهة الأعداء مهما كانت قدرتهم فائقة وأسلحتهم مدمّرة ، وعددهم غير محدود ، والثانى هو إقامة حكومة قائمة على الانتخاب الحرّ المباشر دون تزوير لإرادة الناس أو وصاية على رغبتهم أو إرادتهم .

فى الوجه الأول ظل الشيشان يحاربون قرابة قرنين من الزمان ، دون أن تضعف إرادتهم أو تخمد مقاومتهم ، حاربوا القياصرة الإرثوذكس المغتصبين ، وقاوموا القياصرة الماركسيّين الموتورين ، وظلوا جيلًا وراء جيل يروون أرض الشيشان بدمائهم الزكية وشهدائهم الأبرار ، حتى هزموا الدولة المستعمرة القوية فى ظل ظروفٍ غير متكافئة ، وخذلانٍ بشع من أمة الإسلام التى كانت تنتظر رأى السادة فى الغرب بالنسبة للصراع لتعلن رأيها التابع والذليل ..

ومن المفارقات أن دولة إسلامية اتّهمت بمساعدة الشيشان ، وعندما احتج الروس أعلنت أنها لا تساعد الشيشان ولا تسمح لهم ولا لأفراد منهم أن يتحدثوا عن الشيشان أو يشيروا إلى قضيتها من قريب أو بعيد .. ولكن أهل الشيشان ضربوا أروع الأمثلة المعاصرة فى الصمود ضد الأعداء ودعايتهم السوداء ، وتحملوا عناء الهجرة والغربة والجوع وموت عشرات الألوف من أبنائهم وذويهم دون أن يهونوا أو يتهاونوا .

ومن قيادة الإمام « شامل » إلى الإمام « منصور » إلى « جوهر دوداييف » كانت الراية الخضراء فى الشيشان تنتقل شامخة ، وكان الشيشانيون يدفنون أمواتهم وينهضون لمواصلة الجهاد ( الذى يسميه بعض العرب عنتريات فارغة ! ) ، وفى الوقت ذاته يواصلون التفاوض الذكى ، لا التفاوض المنبطح ! وكأنهم ينفذون شعار « قاتل وفاوض » .. وليس شعار « فاوض وفاوض » الذى يرفعه الأشاوس والنشامى فى بلادنا العربية !

نقطة مهمة أخرى هى أن السلاح كان موجهًا دائمًا إلى الأعداء لا الأشقاء والرفاق ، فالشيشانيون لم يقتتلوا فيما بينهم على مدى قرنين من الزمان ، ولكنهم جعلوا لهم هدفًا مستقيمًا وغاية واضحة ، وهى إخراج الأعداء من البلاد .. بالطبع كان هناك خونة صرحاء وقفوا إلى جانب العدوّ ، وهولاء كان موقفهم هو موقف الأعداء ، لأنهم ارتضوا جانب الخيانة الذى لا يرتضيه صاحب خلق أو ضمير .

أيضًا .. لم تستطع قوى الشرّ والأجهزة القذرة أن تستقطب منهم جماعات مقاتلة ، كما حدث فى بعض البلاد الإسلامية ( أفغانستان مثلاً ) حيث يتحول الجهاد إلى اقتتال داخلى ، وعبث إجرامى ، وفضيحة أمام العالم .

ونسأل الله ألا تتمكن هذه الأجهزة وتلك القوى من تكرار ما حدث فى بلاد الأفغان وتشكيل ( طالبان ) أخرى !

فى الوجه الثانى من الدرس الشيشانى ، تم إجراء انتخابات رئاسية ونيابية نزيهة بشهادة المراقبين الدوليّين والروس ، وشارك الرفاق المجاهدون فى الترشيح والانتخابات ، وقبل الجميع نتائجها ، وهو ما لم يتحقق فى معظم البلدان الإسلامية حتى الآن ، حيث تصرّ قوى الشرّ والأجهزة القذرة على إخضاع العالم الإسلامى للاستبداد والأوضاع الاستثنائية ، لينمو الفساد و ويعشش التخلف ، وتسود الهزائم ، وتبقى التبعية !

لماذا نحن فى حاجة إلى قراءة الدرس الشيشانى ؟

لأننا فى حاجة إلى الاستقلال الحقيقى .. استقلال الإرادة الوطنية ، لتحقيق التعايش فيما بيننا أولًا ، ثم نبنى مجتمعنا على أسس الإيمان والعلم والإبداع ثانيًا .

لقد فقد أهل الشيشان قرابة خمسين ألفًا من الشهداء فضلًا عن الجرحى والمهجرين ، ولكنهم حصلوا على الكرامة والشرف ، وعلّموا الآخرين أن التضحيات فى الميدان هى الطريق لإقناع الجالسين على موائد المفاوضات بعدالة مطالبهم وضرورة تنفيذها ، أما التضحيات على أرصفة المقاهى وميكروفونات الإذاعة ، فلا تحقق شيئًا ، وقد عفى عليها الزمان ، وشبيه بها ما يفعله بعض العرب هنا وهناك .. حين يظنون أن الآخرين يستطيعون إقناع الأعداء بعدالة مطالبهم وضرورة تنفيذها .

أساتذتنا الشيشان .. شكرًا لكم على درسكم البليغ .. حماكم الله من الشيطان ونزغاته ، ومؤامرات الأعداء ومكرهم .

* * *

# الشماتة فى السودان !

فى عهد محمد على كانت مصر والسودان وإريتريا دولة واحدة ، وجاء الإنجليز فأشعلوا النار بين أبناء الوادى ومزّقوه ، حتى صار ثلاث دول فيما بعد .. ويواصل الإنجليز لعبتهم غير النبيلة لتأسيس دولة صليبية فى جنوب السودان حيث تشتعل الحرب هنالك منذ الستينيات مدعومة بمباركة الكنيسة الإنجيلية ، وأسقف كانتربرى ؛ الذى تحدّى السودان وحكومته فى العام الماضى ، وزار جنوب السودان دون استئذان أو مراعاة لأصول اللياقة الدبلوماسية .

أما إريتريا فصار أمرها معروفًا حين سطا «أسياس أفورقى» على ثورة شعبها ، وأعلن ولاءه الكامل والشامل للعالم الصليبى واليهود .

ما يحدث فى القرن الإفريقى عامة والسودان وإريتريا وإثيوبيا خاصة يعنى مصر قبل الآخرين ، ويمسّ مستقبلها وأبناءها .. بل يهدد حياة المصريين تهديدًا مباشرًا وصريحًا ، لذا فإن تهليل البعض لما يسمى بانتصارات المعارضة السوادنية ، والشماتة فيما يصيب الحكومة السودانية وقواتها ، والتهويل فى التدخل الإيرانى العراقى إلى جانب السودان يمثل حالة من الانفصام السياسى تحتاج إلى دراسة وتحليل ، ليمكن تفسير مواقف هؤلاء الذين يظنون أن سقوط نظام البشير نصر كاسح لهم ولسياستهم .

الحقيقة أن نظام البشير أو غيره لا يعنينا بقدر ما يعنينا السودان وأهله ، وإريتريا وأهلها ، وإثيوبيا وأهلها ، فتمزيق السودان وتحريض إريتريا وإثيوبيا ضد مصر ، يعنى أن الشعب المصرى سيموت عطشًا ، وأنه سيجرى عليه ما جرى على السودان من تمزيق وتفتيت ، وفى هذا السياق تتحقق استراتيجية العالم الصليبى واليهود بالقضاء على رأس المقاومة الإسلامية فى

إفريقيا والعالم العربى جميعًا ، وفتح الطريق لإخضاع العرب والمسلمين للهيمنة الصليبية اليهودية إلى الأبد !

عندما أختلف مع أخي ، أيًا كان المخطئ ، فلا يعنى ذلك أن أترك الدار ليحتلها الجار ! يجب أن أفكر تفكيرًا يتجاوز شخصى إلى مستقبلى ومصيرى مع أخى .

وقبل شهور نبّه كاتب كبير فى الأهرام يهتم بالشئون الإفريقية إلى ما يجرى فى القرن الإفريقى وتأثيره المتوقّع على مصر ، وطالب الحكومة بالقيام بواجبها استباقًا لما يجرى ويعدّ ، ولكن يبدو أن « البشير والترابى » هما الهدف الأسمى للسياسة الرسمية حتى لو كان الثمن ضياع السودان ، واستئساد « أفورقى » و « زيناوى » ضد الشعب المصرى !

ومن المفارقات أن يصبح الخائن الصليبى « جون قرنق » زعيمًا للمعارضة السودانية ، وقائدًا لقواتها الفاتحة ، ويمضى تحت رايته زعيم بحجم « الصادق المهدى » ، وزعيم بحجم « الميرغنى » وآخرون ، لا يجمع بينهم وبين « قرنق » إلا بغض الحكومة السودانية فى الوقت الذى تتناقض فيه أهداف كل فريق وغاياته !

إن « قرنق » حارب « الصادق المهدى » ، ومن قبل « جعفر نميرى » والحركة الانفصالية التى تولد عنها « قرنق » وكانت تسمى « أنانيا » حاربت الحكومات السودانية منذ انفصال السوان عن مصر فى الخمسينيات ، سعيًا لإقامة دولة صليبية مدعومة من بريطانيا والعالم الصليبى واليهود .. فما الذى غيّر « قرنق » ليلتقى معه « الصادق المهدى » و « الميرغنى » والشيوعيون السودانيون ؟

إن الجميع لا يريدون لمصر وجودًا فى السودان أيًا كان شكله ، ولو كان وجودًا تعليميًا تتحمل مصر نفقاته ، وتصريحات « المهدى » فى هذا السياق مشهورة .. ولا أعتقد أن من الحكمة تأييد ما يسمّى بالمعارضة

السودانية ضد الحكومة القائمة ، لأن ذلك ضد مصالحنا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعطى الآخرين حقّ المعاملة بالمثل .

وإذا كان السودان هو العمق الاستراتيجى لمصر ، فينبغى على مصر أن تحافظ على هذا العمق ، وتتجاوز كل الخلافات الآنية والشخصية من أجل غايات أعظم وأهداف أسمى .. ولو أردنا حقًّا أن نقيم نظامًا ديمقراطيًّا فى السودان ، فعلينا أن نقيم هذا النظام عندنا أولًا ؛ ليحتذيه الآخرون ويقلّدوه ، ليس فى السودان فحسب ، بل فى أنحاء العالم العربى ، بل فى كافة العالم الإسلامى .

هيًّا نقدم لهم نظامًا تصنعه صناديق انتخابات زجاجية لا يتدخل فيها المزوّرون ولا البلطجية ولا أصحاب الهراوات الغليظة ، فمصر قدوة ، والآخرون يتمثلونها دائمًا .

وإذا كنا قد تقاعسنا عن التدخل الإيجابى فى السودان ، فلماذا نقف ضد من يقال إنهم يساندونه ضد الغزاة من الشرق والجنوب ؟

إن الصليبى « يورى موسيفينى » يصرح علنًا بأنه يفتح جبهة جديدة ضد السودان لمقاومة « الاستعمار العربى الإسلامى » .. فهل ما تقوم به إيران أو العراق لمساعدة الجيش السودانى جريمة ، وقد كنا الأوْلى بالقيام بهذه المساعدة ؟

إن بقاء السودان موحدًا أمرٌ يعنى حياة المصريّين قبل السودانيين ، والتفريط فى وحدة السوادن جريمة لا تغتفر ، لأنها موت لمصر والمصريّين - لا قدّر الله .

أما السادة الذين يشمتون فى السودان وانهزامه أمام « قرنق » وقواته ، وقوات المتحالفين معه ، فنقول : سامحهم الله ، وليتهم - لو كانوا صادقين فى بحثهم عن حرّيات الشعوب العربية - يتعاملون مع بقية الأنظمة الديكتاتورية فى الوطن العربى بالمثل ، ولكنهم للأسف لا يحملون إلا على السودان .. لماذا ؟ الإجابة عندهم .. واسلمى يا مصر .

# رابعاً: مصريات

# إفساد التعليم!

قضية إفساد التعليم غاية استراتيجية لقوى الشرّ المعادية لمصر ، سواء كانت هذه القوى من الجيران الأشرار ( اليهود ) أو الأصدقاء الألداء – كما سماهم فضيلة الإمام الأكبر فى مقاله المنشور بالأهرام ( الأربعاء ٢٥/ ٥/ ١٩٩٥م ) ويعنى بهم دول الغرب وعلى رأسها أمريكا وتوابعها مثل الهند [١] .

وقوى الشرّ سعيدة عندما تجد وزيرًا مصريًّا طموحًا ينفذ إرادتها تلقائيًا وعفويًا دون أن تطلب منه ذلك ، فإفساد التعليم على يديه يحقق انسلاخ المصريين عن هويّتهم ، والخروج من شخصيتهم ، والدخول فى دائرة التبعية والذيلية ، بل والعبودية .. وسواء أدرك معاليه ذلك أو لم يدرك ، فالقافلة تسير إلى الهاوية باسم التطوير والتحديث ، أو محاربة الإرهاب والتطرف كما يزعم معاليه وتتحدث ميليشياته ( التقدميّة ) و ( الطليعية ) ، و( التنويرية ) !

لقد بدأ صراخ المصريّين يزداد مذ بدأ امتحان الثانوية العامة الجديدة قبل أسابيع ، وراح الناس يعيشون رعبًا جديدًا ينتظرون تكراره فى العام القادم بفضل الوزير النشيط الذى أوهمهم – مستخدمًا ميلشياته – بأنه سيبعد الرعب عنهم بنظامه الجديد ، ولكنه خيّب ظنّهم ، وبدلًا من أن يعيشوا رعب الثانوية العامة عامًا واحدًا ، صاروا يعيشونه عامين ، يضاف إلى ذلك خوفهم من المجهول بالنسبة للدفعة المزدوجة وعدم وجود أماكن لأبنائهم فى الجامعات مهما ارتفعت المجاميع بسبب الأماكن المحدُودة والأعداد غير المحدودة [٢] .

---

(١) المقصود هو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، شيخ الأزهر الراحل ، رحمة الله عليه .

(٢) حاولت الحكومة المصرية معالجة مضاعفات هذا النظام بعد تشكيل وزارة جديدة برئاسة الدكتور كمال الجنزورى عام ١٩٩٧ ؛ ولكن مازالت هناك سلبيات خطيرة قائمة !

ويلحّ معاليه فى تصريحاته اليومية التى يبرزها أنصاره فى الصحف والمجلات على أن الامتحان سهل وبسيط . ولا أدرى ماذا يقصد بالسهولة والبساطة بالضبط ؟ هل يقصد أن الأسئلة من صميم المقررات ؟ الواقع يقول إنها لابد أن تكون كذلك ، وقد كانت كذلك دائمًا .. إذًا ماذا يعنى معاليه بالسهولة والبساطة ؟ لا أحد يدرى تمامًا .. ويبدو - والله أعلم - أن هذه التصريحات فرقعات إعلامية لكسب رضا أطراف عديدة يضع الوزير عينه عليها ، لأن الناس فوجئوا بالامتحان يتحول إلى مسابقة عامة تشرف عليها لجان من خارج محافظات الطلاب - مع أنهم فى الصف الثانى - والأسئلة تقوم بالأساس على رصد ذكاء الطالب ، ويتبع ذلك تصحيح الإجابات فى كنترول عام !

صراخ الناس ملمح بشع من ملامح إفساد التعليم ، ولا دليل على الاستهانة بقضيته ، والجرأة على تسييسها ، وإدخالها فى معترك الصراع الحزبى والفكرى ، وإقحام اسم رئيس الدولة فى تصريحات الوزير ليوحى بأن ما يفعله هو رغبة الرئيس وقراره ، وهذا على ما فيه من إساءة لرئيس الدولة بتحميله تبعة قرارات الوزير ، فإن النتائج لابد أن تصُب فى الطريق الخطأ ، ولابد أن تنتج أوضاعًا فيها من الفساد والسوء أكثر مما فيها من الصلاح والخير .

إن واقع التعليم فى بلادنا اليوم ينذر بخطر كبير ، وقد أشرنا فى موضع آخر إلى بعض ممارسات معالى الوزير بالنسبة للجامعة والتعليم العام ، بيد أن هناك نقاطًا أخرى عديدة تحتاج إلى الإشارة السريعة فى هذا الإطار المحدود لتنبه إلى أبعاد الإفساد المقصود أو غير المقصود ، الذى يستهدف مستقبل الوطن فضلاً عن حاضره ، وسأركز على نقطتين :

١ - لا ريب أن التربية الدينية فى الجامعات والتعليم العام هى المكوّن الأساسى للهويّة الحضارية للأمّة ، وجيل لا يعرف دينه - أيًا كان - هو جيل بلا هوية .. وفضلاً عن ذلك فإن الدين هو مكوّن الضمير الذى يتحرك به الفرد فى خدمة وطنه وقومه وأمته ، ويحقق به الولاء والوفاء والأمانة

والاستعداد للشهادة دفاعًا عن مقدسات الشعب وثوابته .

إن إفراغ الجيل من ضميره الدينى يعنى جيلًا بلا خلق ولا قيم ولا ضمير .. ويكون العنف والإرهاب والقوة هى مكوناته فى الوجود الاجتماعى شاء السيد الوزير أو أبى .. فماذا فعل معاليه بالنسبة للتربية الدينية ؟

بالنسبة للجامعات فلا تُدرّس التربية الدينية إلا فى قسم اللغة العربية بكليات الآداب ودار العلوم وفروعها ، وهى دراسة محدودة بصفة عامة ولا تتجاوز ساعتين على مدى عام واحد فقط فى معظم الأقسام باستثناء دار العلوم .

أما فى مدارس التعليم العام ، فقد تم تخفيف مناهج التربية الدينية القائمة فى عهد الوزير الحالى إلى الحد الذى يجعلها غير ذات جدوى ، وإذا عرفنا أنها لا تضاف لمجموع الدرجات التى يحصل عليها الطلاب ، وأنها المادة الوحيدة مع الرسم التى لا يستذْكرها الطلاب إلا فى ليلة الامتحان ، وبالتالى لا يذهبون من أجلها إلى درس خصوصى ، عرفنا أنها مادة شكلية ، وحصادها زقّوم ! وغِسْلِين !

ويبدو - والله أعلم - أن معالى الوزير يتبع سياسة الاستئصال التى تروج لها الحكومات الفرانكفونية فى شمال إفريقية ، والتى تقف من الإسلام موقفًا عدائيًا مجرمًا ، وتشيع ما تسميه بعملية تجفيف المنابع ، وتسعى فى النهاية إلى أن يكون الطلاب والشعوب بلا دين حماية لوجودها العدوانى الاستبدادى .. لذا فإن التدين الذى تسميه هذه الحكومات أو الأنظمة تطرّفًا وإرهابًا هو ما يراد استئصاله بأية وسيلة ممكنة ، وأولاها التعليم .

ولا أدرى هل تخريج أجيال غير متديّنة ، تتحرك بالعنف والقوة فى أرجاء المجتمع يخدم السلطة والاستقرار كما يتصور معالى الوزير .. أم إن الأجيال المؤمنة هى التى تخدم الوطن والإبداع ؟

كنّا – نحن الشعب – نتمنى أن تكون مادة التربية الدينية ذات قيمة ومقام ، لها أهميتها وكيانها فى سياق المواد التعليمية الأخرى داخل الجامعات والمدارس – على الأقل – كما يفعل العدوّ اليهودى فى فلسطين حيث يجعل « التوراة » محور الحركة والسكون فى المجتمع اليهودى ، ولا يخجل من ذلك أدنى خجل ، بل يجعل من الدين وسيلة لشحن الوجدان الاجتماعى ضد الجيران ( نحن ) ومن أجل التفوّق والإبداع والانتماء والقتال واستلاب الأرض العربية المسلمة !

إن البعض فى بلادنا يريد اختزال الإسلام فى دائرة المسجد الذى تهيمن عليه السلطة ، حتي تتحوّل المفاهيم الإسلامية إلى مفاهيم أخرى غريبة وشاذة يمكن تسميتها بالإسلام الأمريكى أو الإسلام الإسرائيلى أى الذى تريده أمريكا وإسرائيل فضلًا عن السلطة الاستئصالية .. وهذه كارثة بكل المقاييس لأنها تعنى ببساطة تدمير المجتمع أو تحويله إلى مجموعة من العبيد لا خلاق لهم ولا ضمير !

والسؤال هو : هل يتحرك الوزير منفردًا أم إنه مأمور بذلك ؟ وبخاصة بعد أن جرّب محاولة الصيف الماضى وصادم الشعور الإسلامى حين قرّر منع الحجاب ، متفوقًا بذلك على الإرهابى الصليبى « شارل باسكوا » وزير داخلية فرنسا السابق ؟

ليت الوزير يستجيب – وله الشكر – لتوصيات المجالس المتخصصة التى يرأسها الدكتور « محمد عبد القادر حاتم » [1] وينفذ ما ورد فيها بشأن التربية الدينية .

٢ – يرتبط بالتربية الدينية ارتباطًا مباشرًا ، موقف اللغة العربية بوصفها المادة الأساسية الثانية بعدها . فقد قام الوزير بتخفيض درجاتها لتتساوى ببقية المواد الفرعية التى يدرسها طلاب الثانوية العامة .. ومع المعارضة التى ظهرت عند صدور قرار الوزير ، فإنه دافع دفاعًا غير مجيد عن قراره ، ولم يقتنع

---

(١) عيّن الدكتور عاطف صدقى رئيسًا لهذه المجالس بعد استقالته من رئاسة الوزراء ، عام ١٩٩٧ وتشكيل وزارة جديدة .

الناس بما قال ، لسبب بسيط جدًا هو أن معاليه لم يستطع أن يخفض درجات اللغة الفرنسية ، والعليمون ببواطن الأمور يقولون كلامًا لم نتأكد من صحته بعد ، عن دور السفارة الفرنسية فى إبطال رغبة الوزير بتخفيض الدرجات ، وهو أمر لا نستبعده ، نظرًا للاهتمام المعروف عن الفرنسيين بلغتهم ، ورغبتهم العارمة المدعومة بالتنفيذ لنشر الفرنسية فى كل مكان وتشجيع متعلميها وأساتذتها من غير الفرنسيين ومنحهم أوسمة ونياشين وجوائز وامتيازات مما لا ينكره أحد ولا حتى معالى الوزير .

والقضية فى رأيى أكبر من حكاية درجات مادة اللغة العربية فى الشهادة الثانوية العامة ، إنها تدخل ضمن تكوين الانتماء القومى الإسلامى وهذا التكوين فيما يبدو صار شيئًا زائدًا عن الحاجة ، وغير مرغوب فى زمان « التنوير الهجين » ، وكما انتشرت اللافتات والمصطلحات الأجنبية على واجهات المحلات والمؤسسات إلى جانب العاميات التى تتعامل بها أجهزة الدعاية وينطق بها المسئولون ، فقد انتشر الاستخفاف باللغة العربية عبر الفنون البصرية والسمعية ( مسرح - سينما - غناء ... ) وصار التشدق بالعبارات الأجنبية دليلًا على « الحداثة » و« التطور » و« التحضّر » ! ترى هل تفعل أمة بلغتها مثلما نفعل ؟

كان المأمول من الوزير « الطليعى » أن يسعى جادًا للاهتمام بمادة اللغة العربية على كافة المستويات ، وأن يجعل لها مع الدين مكان الصدارة فى المجتمع التعليمى ، وأن يواجه أعداءها بقوة وثقة .. صحيح أن بعض أبناء اللغة العربية يفرّطون فى حقّها ، ويهملون فى شأنها ، ويسايرون الاتجاهات المجحفة بها .. ولكن هذا لا يعنى ألبتة أن تتحوّل اللغة إلى جمل أجرب يتم استبعاده إلى أعماق الصحراء منفردًا شريدًا !

المأمول من معالى الوزير أن يجعل قضية اللغة هدفًا اجتماعيًا استراتيجيًا لأسباب شتى عديدة تعرفها الأمم والشعوب ، وسوف أضرب له مثلًا بالجيران الأشرار ، ومثلًا آخر من بعيد فى أقصى الشرق .

الجيران الأشرار فى فلسطين المحتلة بعثوا لغة قديمة ميتة منذ أربعة آلاف

سنة ، وفرضوا على كل مهاجر إلى فلسطين المحتلة أن يحذقها كتابة ونطقًا في خلال ستة أشهر ، وإلا حُرم من الامتيازات التى يحظى بها المهاجرون ، ناهيك عن جعلها لغة التعليم فى كل الجامعات والمدارس والتخصصات ، بل ترجموا إليها العلوم الأجنبية والمخترعات الحديثة دون إحساس بالنقص أو الدونية .. بالعبرية يبدعون ويخترعون ، وبالعبرية يهزمون جيرانهم ويقهرونهم !

في أقصى الشرق تنهض اليابان معتزّة بلغتها .. قيل لليابانيين بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية ، يجب تقليص عدد المفردات المستخدمة فى اللغة اليابانية كى تنهض اليابان من كبوتها وتنطلق إلى الأمام ، ولكن مجلس التعليم الأعلى هناك اجتمع وقرّر زيادة عدد المفردات اليابانية ، وأن يتعلم اليابانيون لغتهم تعلّمًا جادًّا وعموميًا ، واستطاعت اليابان بعد هزيمتها أن تنطلق وتهزم من هزموها ، وصار « الين » اليابانى بفضل التقدم الصناعى والتكنولوجى ، يناطح أقوى العملات الدولية ويحطمها !

ترى هل يدرك وزير تعليمنا ( الطليعى ) قيمة اللغة القومية فى صنع مستقبل الأمة وتقدمها ؟

يبدو أن معالى الوزير مشغول بتأصيل قضايا أخرى لا علاقة لها بالتعليم وإنهاضه من غيبوبته .. فإشعال النار فى نوادى هيئات التدريس وتكريس الإدارة الجامعية لرفاقة وأنصاره ، ومحاربة المعلمين المتدينين وتحويلهم إلى أعمال بعيدة عن التدريس ، وتفريخ الجيل الثانى من « الجستابو » الذى كان يسمى التنظيم الطليعى ، والمسمى الآن بتنظيم « حُورَس » ، ومتابعة سياسة الاستئصال أو تجفيف المنابع .. إلى غير ذلك من قضايا مشابهة هى الشغل الشاغل لمعاليه !!

ومهما يكن من أمر ، فإن طبيعة الشعب المصرى المسالمة الطيبة ، ترفض كل شذوذ يخالف ما اعتادت عليه ، وتنفى كل انحراف يبتعد عن تصوّراتها الإنسانية .. والزمان كفيل بتصحيح كل فساد ، ولعلنا بمشيئة الله نتابع الحديث عن إفساد التعليم مع تساؤلنا المستمرّ : لمصلحة من ؟

## تعليم فى تدهور = أمة فى خطر !

يواجه الناس مشكلاتهم فى العالم **غير العربى** بمنهج واضح ومستقيم ، أو بما يسمونه الآن « الشفافية » ، أملًا فى حلّ هذه المشكلات وتذليل العقبات التى تعترض حلها .

العكس يحدث فى **عالمنا العربى** ، فالشفافية مفقودة ، والاستقامة والوضوح يذوبان فى منهج غريب ، يقوم على إخفاء الحقائق ، والانحراف بالمشكلات الجوهرية إلى قضايا هامشية أو جانبية ليست فى صلب الموضوع .

عندما طُرح موضوع التعليم فى الولايات المتحدة الأمريكية على الرئيس الأمريكى السابق « جورج بوش » كان عنوانه « أمة فى خطر ! » لم يستنكف المسئولون فى أمريكا أن يقولوا الحقيقة سافرة ، دون تجميل ، بل لم يتورعوا أن يصفوا المشكلة بأنها تضع الأمّة فى دائرة الخطر ! وفى الحال أعلن الرئيس الأمريكى عن لجنة تتخذ ما تراه لإنقاذ الأمة من الخطر ، ولم يتردّد الأمريكيون فى دراسة نظام التعليم اليابانى ليستفيدوا منه ، ويعالجوا الوضع التعليمى فى بلادهم !

عندنا الأمر يختلف ، من تسوّل له نفسه أن يُشير إلى محنة التعليم وعشوائيته فى بلادنا ، فالويل له ، والمليشيا جاهزة لتلقمه ألف حجر ، وتصفه بأوصاف شتى أخفّها : طيور الظلام ، أعداء النجاح ، أصحاب المصالح ، المتحالفون مع ملوك الدروس الخصوصية ... إلخ ، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتعداه إلى رسوم الكاريكاتير الصحفية التى تسخر ممن يعارضون عشوائية التعليم وهشاشته !

أضف إلى ما سبق سلاحًا خطيرًا ومبتذلًا ، وهو إقحام اسم السيد

رئيس الدولة فى المناقشات ؟ فمن يجرؤ على الإشارة إلى تدهور التعليم ، يصوّرونه بالمعتدى والمتطاول على عهد السيد الرئيس ! وكأن كل من يناقش قضية من قضايا الدولة يجب أن يضع فى حسبانه أنه بمناقشته يسىء إلى السيد الرئيس وعهده واهتمامه بشئون الوطن ؟ وهذا منطق مغلوط يمثّل انحدارًا غير مسبوق فى الردّ على المعارضين ، فضلًا عن الإساءة إلى الرئيس نفسه ، بإقحامه فى أمور ليس طرفًا فيها إلا بمقدار تنفيذ خطط عامة يقدمها إليه المتخصصون ، ويصدّق عليها .

إن معالجة مشكلة التعليم فى مصر بطريقة الاتحاد الاشتراكى غير مجدية ، وغير مفيدة ، بل ستكلف البلاد عناء لا طاقة لها به ، فالاعتماد على الصوت العالى ، وإسكات أصحاب الرأى الآخر الذى يعتمد على الحجة والخبرة والعلم أسلوب رخيص ، يعرّض البلاد لكارثة كبرى .. ولأن تدهور التعليم يعنى انهيار الأمة وهزيمتها فى كل المجالات ، وخاصة صناعة الحضارة الذاتية ، والمشاركة فى الحضارة الإنسانية عامة .

قيل : إن اليونسكو شهدت بتقدم التعليم فى مصر وتطوّره ونجاحه نجاحًا عظيمًا .. ونحن يسعدنا ذلك ، ويسرّنا ، ونتمنى أن يكون له ظل من الحقيقة على أرض الواقع وفى حياة الناس .. وأغلب الظن أن اليونسكو أشارت إلى ما يوليه رئيس الدولة من اهتمام بمسألة التعليم ، حيث يوفر – فى حدود قدرة الدولة وفقًا لظروفها – الميزانية التى يطلبها المسئولون التنفيذيون وهذا حق ، فقد أغدقت الحكومة مئات الملايين من أجل تطوير التعليم وتقدمه .. ولكن هذه الملايين – للأسف الشديد لم تثمر شيئًا ذا قيمة حتى الآن – فالانهيار يزداد ، والتدهور مستمر ، والتعليم الموازى ( فى البيوت وغيرها ) ينتشر وتتسع دائرته ، كما تزداد عذابات الأسرة المصرية بسبب هذا النوع من التعليم ، ناهيك عن طبيعة الخريجين الذين تلفظهم الجامعات سنويًا إلى عرض الطريق لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلًا ، وفى أيمانهم شهاداتُ تخرج لا تعادل فى الغالب الشهادة الابتدائية القديمة .. يعرف

ذلك القاصي والداني من أبناء الوطن ، فضلًا عن كل من له أدنى صلة بالعملية التعليمية .

إن عناصر العملية التعليمية الرئيسية ثلاثة : المعلم ، والمتعلم ، والعلم ، يضاف إليها عناصر مساعدة مثل : المكان ، والزمان ، والأدوات المعينة .. ولننظر نظرة سريعة إلى العناصر الأساسية ، ثم نحكم بعدها على شهادة اليونسكو الموقرة .

**أولًا المعلم :**

سواء كان أستاذًا جامعيًا أو مدرسًا فى التعليم ، صار يعانى من ضعف مستواه معرفة وخبرة وسلوكًا .. هناك بالطبع استثناءات قليلة ، ولكنها تثبت القاعدة ، كما يعانى من قلة العائد من مهنته ما لم يكن صاحب عيادة أو مكتب استشارى أو مكتب محاماه أو نحو ذلك ، أو يمارس الدروس الخصوصية ( التعليم الموازى ) .

إن موظفًا صغيرًا فى إحدى المؤسسات الاستثمارية يفوق مرتبه مرتب أستاذ الجامعة ! نتائج ذلك معروفة للجميع ، وخاصة فى الجامعة ، حيث صار الصراع من أجل المناصب والمنافع وليس من أجل العلم والمعرفة .. وصار الأستاذ يقف على باب ( الموظف الكبير ! ) .. فهل نتوقع تقدمًا وتطورًا كما تتمنى « اليونسكو » الموقرة ؟

**ثانيًا : المتعلم :**

وهو الطالب فى التعليم العام والجامعة ، وهو ابنى وابنك ، ولم يعد الطالب واحدًا أو اثنين أو ثلاثة ، بل ملايين لا تجد لها مقرًا أو مستقرًا فى المدارس أو الجامعات ، وليس خافيًا على أحد أن الفصل المدرسى الذى يضم فى المتوسط ٥٠ - ٦٠ تلميذًا ، والمدرج الجامعى الذى يحتوى فى المتوسط ٧٠٠ - ٩٠٠ طالب ، لا يستطيع فيه الطالب أو أستاذه التنفّس أو التحرّك بصورة طبيعيّة ، لا يمكن أن يثمر علمًا أو سلوكًا ، وكلاهما الطالب

والأستاذ لا يريد حوارًا علميًا أو زادًا ثقافيًا ، فكلاهما مهموم بموعد الانصراف من الحصة والمحاضرة .. ناهيك عن سلوك غير سوىّ يهيمن على الكثيرين ، ويحركهم تجاه بعضهم وتجاه المجتمع ، نتيجة لعوامل متعددة أبرزها : ضعف الدور الأسرى ، وتراجع دور المدرسة والجامعة فى البناء الخلقى ، وتأثير أجهزة الدعاية - خاصة التليفزيون - فى سلوك الشباب وفكرهم ، بما تقدمه من نماذج هشّة وهامشية ومنحرفة تحظى بالاهتمام والرعاية الدعائية .

**ثالثًا : العلم :**

وهو اليتيم الضائع على كافة المآدب ، ومستوى التحصيل العلمى معروف لدى الكافة ، ولا يسرّ صديقًا ، وإن كان يسرّ كل الأعداء ، فهو لا يبنى هويّة ، ولا يغرس أخلاقًا ، ولا يصنع وطنيّة ، بل يصنع كيانًا هشًّا يذوب مع تساقط قطرات الرذاذ !

الأمم الحية لا تسمح لهيئة أجنبية أو مكتب غير قومى أن يصنع لها مناهجها ، ويقرر ماذا يدرس الطالب أو يدرس ، أو يضع اللغة القومية فى مؤخرة المواد الدراسية ، ويلقى بالتربية الدينية فى صندوق المهملات !

مصر مليئة بالخبراء الممتازين الذين يستطيعون هضم ما لدى الآخر ، واستثمار النقاط الإيجابية لديه ، ومهما كان الآخر متفوقًا فى حياته المدنية ، فليس ذلك مسوّغًا له كى يضع لى مناهجى .. ولكن وزارة التعليم حماها الله تعيد أيام « **كرومر** » و « **دنلوب** » فى إطار جديد !

تبدو العناصر الثلاثة الرئيسية فى عملية التعليم عندنا غير مؤهلة لصنع الإنسان المصرى المأمول ليخوض - كما يقولون - القرن الواحد والعشرين ، وهو ما يقتضى أن نتحفظ على تقرير « اليونسكو » الموقرة ، لأننا نريد أن نبنى وطنًا يستحق أن يعيش بين بقية الأوطان .

أما التركيز على القضايا الهامشية مثل إدخال « الكمبيوتر » وتعليمه للطلاب ، فالأولى عمليًا أن نستخدم الكمبيوتر فى الإدارة .. على الأقل ..

لتخزين المعلومات عن هيئات التدريس والطلاب والعمال ، ونتائج الامتحانات .. وبالمناسبة فقد سبقتنا إلى ذلك دول عربية وُلدت حديثًا .. أما تخزين الكمبيوتر فى الغرف المغلقة بوصفه عهدة ، فلا يعنى بحال أننا دخلنا عصر الكمبيوتر .

إننى أناشد رئيس الدولة أن يأمر المسئولين فى وزارة التعليم أن يبذلوا قليلاً من الجهد ، ويطالعوا تقارير المجالس القومية المتخصصة ، وبخاصة ما يتعلق بالتعليم ، وينفذوا جزءًا منها على الأقل ، ساعتها سيدركون أنهم على الطريق الصحيح .. بعيدًا عن طريق الاتحاد الاشتراكى !

* * *

## تطوير التعليم بالدعاية !

يبدو أن من تسوّل له نفسه مناقشة محنة التعليم فى بلادنا ، أو الإشارة إلى عشوائيته ، ينتظره ويل عظيم ، ومصير رهيب على يد « المليشيا » الجاهزة والمعدّة سلفًا ، لتلقمه ألف حجر ، وتصفه بأوصاف شتّى أخفها : طيور الظلام ، أعداء النجاح ، أصحاب المصالح ، المتحالفون مع ملوك الدروس الخصوصيّة ... إلخ . ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتعداه إلى رسوم الكاريكاتير الصحفية التى تسخر ممن يعارضون عشوائية التعليم وهشاشته !

أضف إلى ما سبق استخدام المليشيا لسلاح خطير ومبتذل ، وهو إقحام اسم السيد رئيس الدولة فى المناقشات ، فمن يجرؤ على الإشارة إلى تدهور التعليم المصرى ، يصوّرونه تصويرًا كريهًا يوحى بأنه يعارض رئيس الدولة ، وليس كبار الموظفين فى وزارة التعليم الذين ينفذون سياسة قاصرة وسلبية ، تقوم على عناصر هامشية مظهرية ، تبتعد عن الجدّ والبناء الحقيقى .. وكأن كل من يناقش قضيّة من قضايا الدولة يجب أن يضع فى حسبانه أنه لا يناقش مسئولين يصيبون ويخطئون ، ولكنه يناقش الرئيس نفسه ويسيىء إليه وإلى عهده وإلى الوطن ! وتلك آية من آيات المغالطة ، والانحدار غير المسبوق فى الردّ على المعارضين ، فضلًا عن الإساءة إلى الرئيس بإقحامه فى أمور ليس طرفًا فيها إلا بمقدار اهتمامه العام بكافة أمور الدولة .

قلت هذا الكلام من قبل ، وأكرره مرة أخرى ؛ لأن القوم يصرّون على اتهام خصومهم باتهامات رخيصة ، دون محاولة وضع الحلول الناجعة لمشكلات التعليم .

ولو أن « المليشيا » المدافعة عن تدهور التعليم المصرى استجابت لمنطق

العقل والحق ، لناقشت القضايا المطروحة مناقشة علمية جادّة ، تقنع المصريّين بصفة عامة أن مستوى التعليم فى بلادنا يتقدم ويتطور حقيقة لا دعاية ، وأن خريج التعليم الجامعى أو التعليم العام يحقق مستوى أفضل عن نظيره الذى كان يتخرج قبل عشر سنوات مثلاً !

إن المصريين يعلمون جيدًا أن مستوى التعليم قد تدنّى كثيرًا عن ذى قبل ، ويعلم القاصى والدانى أن الخريجين الذى تلفظهم الجامعات سنويًّا إلى عرض الطريق لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وفى أيمانهم شهادات تخرّج ، ومستواهم العلمى فى الغالب أدنى من مستوى الحاصلين على الشهادات الابتدائية القديمة فى عصر الاستعمار والملك الفاسد !

كل من له أدنى صلة بالعملية التعليمية يعلم اليوم أن التعليم فى بلادنا لا يخرّج مواطنين صالحين كما يحبّ الناس ويرضون ، لا فكرًا ولا سلوكًا ، وكم من بحوث وموضوعات وتحقيقات نشرها باحثون وصحفيون ومهتمون بالعملية التعليمية تؤكد على تراجع التعليم فى مصر ، وتخلّفه بالقياس إلى العقود السابقة ، التى لم يعرف الناس فيها « الكمبيوتر » ولا الميزانية الضخمة التى تخصصها الدولة للتعليم .

البعض يمنّ على الشعب المصرى بأنه أدخل « الكمبيوتر » إلى المدارس ، وبنى سبعمائة مدرسة [1] ، وقبل أعدادًا مضاعفة من الطلاب فى الجامعات والمدارس ، وأعاد تأهيل كثير من المعلمين ، ومنحهم المزيد من الحوافز والامتيازات .

وهذا أمر حسن ، ولكنه ليس دليلاً على ارتقاء التعليم فى مصر ، لأن واقع التعليم يشير إلى أن السنوات الأخيرة شهدت تدهورًا غير مسبوق ، وإفرازات لم تحدث من قبل .. خذ مثلاً عملية اللعب فى المناهج وتغييرها لحسابات سياسية مؤقتة ، وخذ مثلاً اتساع دائرة التعليم الموازى ( الدروس الخصوصية ) بصورة بشعة ، مما يحمّل الأسرة المصرية عبئًا يفوق طاقتها ،

---

(١) الصواب سبعة آلاف ، كما أخبرنى مسئول كبير . ( الكاتب ) .

ويعنى أن التعليم النظامى غير كاف أو لا يؤدى دوره ، فضلًا عن نشوء ما يسمى بمافيا الدروس الخصوصية ، وتحكّمها فى سوق التعليم الموازى ، لدرجة أن الطالب لا يجد له مكانًا هناك إلا بالحجز مقدمًا ، ناهيك عن الإعلانات المستفزّة التى تعلن عن طريقة الحجز ومكانه بصورة لم تعهدها مصر فى السنوات الخوالى !

وخذ مثلًا أن التلقين صار هو الفيصل فى العملية التعليمية والامتحانات بعد أن كانت هنالك مساحة للتفكير والاستنتاج والتحليل والتعليل ، ويرجع ذلك كما يعلم الجميع لكثرة الأعداد وضعف الأداء .. وخذ مثلًا أن التعليم وضع اللغة القومية فى مؤخرة المواد الدراسية ، ووضع التربية الدينية فى سلة المهملات ، فلا يستطيع أحد أن يزعم أن أبناءنا وبناتنا تتكون لديهم حاسة الانتماء القومى أو تتربّى عندهم السلوكيات التى تؤهلهم للبناء والتعمير .. واسألوا عبّاد الشيطان وصفحات الحوادث !

ونستطيع أن نعدّد الكثير من الظواهر السلبية التى تردّ على « المليشيا » المتربّصة بكل صوت مخلص يسعى لارتقاء التعليم فى بلادنا ، ولكننا نأمل أن يكون الإخلاص وليس الدعاية هو رائد المسئولين عن التعليم ، وليس عيبًا أن نبحث فى وسائل الترقية والتطوّر بمنهج علمى سليم .

فالولايات المتحدة ، وهى من هى ، ومستوى التعليم فيها يفوق مستوى التعليم فى مصر بآلاف المراحل والمرات ، لم تستنكف أن تناقش قضية التعليم عندها ، وتسعى للاستفادة بما عند اليابان ، وهى الدولة التى انهزمت أمامها فى الحرب العالمية الثانية .

إن التركيز على القضايا الهامشية لا يحل مشكلة التعليم فى مصر ، والاعتماد على الدعاية لن يقنع ولى الأمر بأن ابنه يتلقى تعليمًا جيدًا .

إننى أناشد السيد الرئيس – مرة أخرى – أن يأمر المسئولين فى وزارة التعليم ببذل القليل من الجهد ، ومطالعة تقارير المجالس القومية المتخصّصَة ، وتنفيذها .. وساعتها سيدركون أنهم على الطريق الصحيح .

# أستاذ الجامعة : مسكيناً ويتيماً وأسيرًا !

فى العهد الذى كانوا يسمونه بائدًا ، اتصل بعض المقربين من رئيس الوزراء المصرى بأساتذة دار العلوم للاهتمام بابن أخته الطالب فى الكلية .. وكان القوم يتخوفون من مادة أحد الأساتذة الذى حدثوه فى الأمر .. وما كان منه إلا أن طلب ورقة الطالب المذكور ، وخفّض درجته ، قائلاً : فليأخذ حقّه فقط ، وكان من عادة الأستاذ أن يزيد درجة لكل الطلاب حرصًا على عدم ظلمهم فى تقديره .

أدرك رئيس الوزراء أنه تجاوز حدوده ، وأثار الأساتذة وكليتها ضدّه ، فبادر على الفور بالاتصال بالأستاذ معتذرًا ومكررًا اعتذاره ، ومبديًا أسفه ، ومعبرًا عن حسن نيته !

قارنت ذلك ، ووزير معاصر يصطحب معه إلى برنامج تلفزيونى رهطًا من كبار الأساتذة فى الجامعات ، ليؤيدوا سياسته الفاشلة ، ويبتسم لهم وهم يقلبون الحقائق ويسوّغون التدهور .. وبالطبع ، فهم موعودون بالمكافآت الثمينة ، مناصب ومنافع ولجان و...

أستاذ الجامعة كان قاضيًا ، ينظر إليه المجتمع نظرة تقديس واحترام ، يترفع عن الصغار ، عفّ اللسان ، نظيف اليد ، لا يلهث وراء الدنيا بما تعنيه من مظاهر ومناصب .. كان همّه الأول خدمة العلم والمجتمع ، والسموّ على أصحاب الجاه والسلطان مهما بلغ به البؤس المادى مبلغه .

صار الأستاذ اليوم – إلا من رحم الله – يسعى وراء الكبار والصغار ، ليجنى ثمرة مريرة حقيرة ، تتجلى فى منصب إدارى داخل الجامعة أو خارجها ، ورأينا منهم من يتطوع بتفصيل القوانين الشاذة ، وتسويغ القوانين

الظالمة ، وإهدار القيم الرفيعة والمثل العليا على مذبح الاستبداد والشمولية وتحطيم كرامة الإنسان المصرى .

لقد تضافرت عوامل عديدة على الزراية بالأستاذ الجامعى ، ونفيه خارج الدائرة التى كان فيها وعليها فى العهد البائد ، منها :

١ - انتهاك استقلال الجامعة ، وتحويلها إلى كيان هش ، ينفذ إرادة الجهات الإدارية دون معارضة ، وتحريم المناقشة فى قضايا الوطن على الأساتذة والطلاب جميعًا ، وتحليل الطعن فى الإسلام وعلمائه .

٢ - هيمنة الشرطة على الكليات والجامعات ، وصار الحرس الجامعى صاحب الكلمة الأولى فى الحكم على صلاحية الأساتذة من ناحية « الولاء » و« البراء » ، بالنسبة للسلطة .. وصار أمرًا عاديًا أن يكون لضابط برتبة « مقدم » الهيمنة على عميد كلية ، وآخر برتبة « عميد » الهيمنة على رئيس جامعة .. وبعضهم يفاخر بتعيين هذا العميد وإقالة ذاك الرئيس ؟!

٣ - ضرب نوادى هيئة التدريس ، وتفريغها من محتواها الفكرى والثقافى ، وكان من المؤسف أن يتم هذا الضرب بوساطة بعض الزملاء الذين يتولون مناصب إدارية عليا فى الجامعات ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى التمهيد لتقديم بعض أعضاء النوادى ورؤسائها إلى محاكمات عسكرية .. وأصبحت النوادى حكرًا على رؤساء الجامعات ونوابهم فى معظم الحالات .. لماذا ؟

٤ - قام الزميل الذى يتولى وزارة التعليم بخطوة غير طيبة لإرضاء السلطة فألغى الصورة الديمقراطية اليتيمة التى كانت قائمة فى الجامعات ، وهى انتخاب العمداء ، ليتسنى للأطراف المعادية للحرية أن تضرب أصحاب الأصوات الحرّة من الأساتذة ، وتجذب أصحاب المصالح كى يزحفوا على بطونهم وأيديهم ، ويتهالكوا لإرضاء القوى القاهرة .. ولو جاء ذلك على حساب العلم والقيم .

٥ - وبالطبع ، فإن إهمال السلطة لأستاذ الجامعة من الناحية المادية فى الوقت الذى تنهال فيه الامتيازات على الموظفين فى القطاع العام والمؤسسات الدعائية ومؤسسات الديكور النيابى وغيرها .. فضلاً عن شدة الغلاء قد جعل الوضع مأساويًا ، ما لم يكن الأستاذ صاحب عيادة أو مكتب استشارى أو مكتب محاماة أو نحو ذلك .

هناك أسباب أخرى عديدة تجعل الأستاذ الجامعى « مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا » بما تحمله هذه الصفات من معان على الحقيقة أو المجاز .. وهو ما يعنى أن عمود الحركة والتوازن فى المجتمع مهدّد بالانهيار ، وإذا انهار هذا العمود فمعنى ذلك أننا مقبلون على خطر داهم ، تختلط عنده القيم ، ويختل فيه النظام ، ونعود إلى الوراء مئات السنين !!

لست يائسًا ، ومثلى كثيرون ، ولكن ضراوة العبث بالتعليم عامة ، والجامعة خاصة ، وأستاذ الجامعة على وجه أخص ، ينذر بعواقب غير طيبة ، نسأل الله ألا تحدث ، ونرجوه أن يهدى البعض من زملائنا الذين أغرتهم السلطة بنفوذها وجاهها وغرورها أن يترفقوا بزملائهم المساكين واليتامى والأسرى .. والله غالب على أمره .

* * *

# الطبقة المتوحّشة وعبادة الشيطان !

الذى طفا على السطح فى قضية «عبّاد الشيطان» قليل .. تحت الماء خطر عظيم .. ولو تصوّرنا أن الجيل القادم الذى سيقود مصر إلى المستقبل وينطلق بها فى القرن الحادى والعشرين بتشكل من هؤلاء الشباب الذين يعبدون الشيطان أو الموسيقى السوداء أو يعيشون فراغًا أسود لا يمتلئ إلا بما هو دميم ومتقيّح ورخيص ، فلنا أن نتخيّل إلى أىّ مدى سيكون الانهيار والدمار .

العدوّ اليهودى فى فلسطين ملأ شبابه وأفراده بعقيدة تضمّ أخلاطًا من الخرافات والأساطير ، فسرت فيهم مسرى الدم فى العروق ، وبناءً على هذه العقيدة رأيناهم يتمسّكون بأرض ليست لهم ، ويعدّونها أرضًا قومية (!!) وفى سبيلها يعملون ويجدّون ويتقدمون وينتصرون ويفرضون شروطهم علينا ، ويتعاملون فيما بينهم بالديمقراطية ، ويحرصون على تلك الكلمة الملعونة كما يسميها «نجيب محفوظ» - أعنى الحريّة !

أما نحن ، فقد حرصنا على تفريغ القلوب والعقول من عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا ، وصار الدين تهمة ، والتديّن تطرفًا ، والجدية تخلّفًا ، والعمل تنطُّعًا ، والالتزام رجعية ، والأخلاق ظلامية ، والديمقراطية رجس من عمل الشيطان ، والحرية - الكلمة الملعونة - إثمٌ عظيم .. فتخلّفنا بمقدار ما تقدم أعداؤنا ، وصار الشيطان وأبناؤه الذين ترعرعوا فى نصف قرن هم القادة والمثل الأعلى ..

إن الشباب المصرى بعامة ، وشباب الطبقة المتوحشة التى تهيمن على مصر طوال نصف قرن بخاصة ، يعانون من انعدام الرؤية وغياب الهدف وخواء القلب والعقل ، ولذلك أسبابه التى لا تخفى على أحد ، وتوجب محاكمة الحكومة والآباء قبل الشباب والأبناء .

أينما قلّبت وجهك وجدت الفساد كالسّوس ينخر فى جوانب البناء المصرى ، ويهدّد بتقويضه وانهياره ، والقوم مصرّون أن كل شىء « عال العال » وطالما كانت الصورة على شاشة التليفزيون المصرى وصحف السلطة زاهية وملوّنة ، فالجبهة هادئة ، ولا خوف من الجيوش المعادية !

لا تنهض أمة بدون عقيدة تحوطها حرية وكرامة وغاية .. فهل يملك شبابنا شيئًا من ذلك ؟ الإجابة بالطبع لا تسرّ .

تعالوا ننظر إلى النظام التعليمى الذى ينحدر بسرعة إلى الهاوية ، فلا هو يوصّل « معارف » ولا يقوم « بتربية» ولا يربى « أجيالًا » ! صار « المعلم » رهينة الدروس الخصوصية ، فلم تعد له هيبة ولا قيمة ، والطالب يعلم أنه يشترى « المعلم » بفلوسه وثمن الدرس الخصوصى ، وأصبحت المدرسة موئلًا للمشاغبين ، وناظر المدرسة اسمه « عبد المعطى » الأبله العبيط الذى يضحك عليه المشاغبون من عيّنة بهجت الأباصيرى والمرسى الزناتى !

أما دروس التربية الدينية والأخلاق ، فصارت غير موجودة بل غير قائمة ، لا تضاف إلى المجموع ولا يرسب فيها أحد .. فلماذا يُعَنّى الأولاد أنفسهم باستذكارها وفهمها واستيعابها ؟ بل إن الدين صار أمرًا غير مرغوب فيه حين يجد الشباب أن من يذهب إلى الملاهى لا يسأله أحد ولا يوقفه أحد ، ولكن من يذهب إلى المسجد يتحول إلى مشتبه به ، ويجد الطلاّب مسجد المدرسة أو الكلية مغلقًا لا يفتح إلا عشر دقائق عند الصلاة المفروضة ، بعدها يحظر فتح المسجد أو بقاء أحد فيه ، وما يجرى فى مساجد المدارس والجامعات يجرى خارجها .

ثم تأمل ذلك اللعب المستمر بمناهج التعليم وإخضاعها للسياسة المتقلّبة التى تفرضها الحكومات المتعاقبة ، فتنفى ما لا تريده ولو كان حقيقة راسخة ، وتضع ما تريد ولو كان بهتانًا لا يقف على قدمين .. المهم أن يخدم اللعب الأفراد والأحزاب ذات المصالح الخاصة التى تتناقض عادة مع

مصالح الوطن والأمّة .. والنتيجة أن يتمزق الأبناء بين ما يقال وما هو قائم ، وما يطالعونه فى كتب غير منهجية !

فى غياب النظام الأسرى المتماسك – لأسباب شتى – تصبح أجهزة الدعاية وخاصة التلفزيون ، هى الأم والأب الذى يستقى منهما الأبناء الفكر والأخلاق والسلوك ، ترى ماذا تقدم أجهزة الدعاية لأبنائنا اليتامى معنويًا ؟

إنها تقدم الخواء والتسطيح وتزييف الوعى ، والتخدير اليومى ، والبريق الزائف ، مما يدفع الشباب إلى السقوط فى هوة الإحباط والانحراف !

أما صفوة المجتمع ، وهم المثقفون ، فقد أخلد معظمهم إلى الظل ، والقلة التى مازالت تستشعر الحيوية فقد انقسمت إلى فريقين ، أحدهما وعدده قليل ، يكافح مظاهر الفساد والانحراف فى بطولة تشبه بطولة الشهداء دون أن يحقق عائدًا ملموسًا ، وثانيهما ويمثّل أغلبية عددية ، فقد استراح إلى ما أغدقته عليه السلطة من مكاسب ومناصب ، فراح يطلق البخور ، ويسوّغ القوانين الاستثنائية ، ويحلّل حرمان الشعب من الحرية والديمقراطية ، ويؤيّد المحاكمات العسكرية للمدنيّين ، ولا يتورّع فى بعض الأحيان عن اتهام المعارضين بتهم رخيصة .

ومن ثمّ ، فقد انتشت الطبقة المتوحشة بسلب الشعب ثروته وحريته طوال نصف قرن ، وإن كانت قد فوجئت بأن فلذة كبدها تعبد الشيطان من دون الله .. وما علمت أن بعض أفرادها قد تفوّق على إبليس نفسه فى الشرّ والأذى والفجور والفساد !

أبناؤنا الذين فقدوا الرّشد ، يظلّ ذنبهم معلّقًا فى أعناق الطبقة المتوحشة الشيطانية ، ولن يسقط هذا الذنب إلّا إذا استرد الأبناء الحرية مع حقهم فى العمل والتفكير والانتماء ، من خلال نظام تعليمى جاد ، وأجهزة دعاية تتحول إلى أجهزة إعلام ، وقادة فكر ورأى لا يبحثون عن منافع أو مناصب .. والله غالب على أمره .

# النخبة المثقفة .. والولاء الغربى

قال صحفى عربى فى صحيفة عربية كبرى يصف « نجم الدين أربكان » زعيم حزب الرفاه الإسلامى التركى عقب فوزه فى الانتخابات النيابية التركية : « إذا حدث أن قام فى تركيا حكم إسلامى على غرار النظام القائم فى إيران ، فسيكون نجم الدين أربكان هو أول تركى يحمل لقب ( آية الله ) » .

الصحفى العربى المسلم يستنكر ضمنًا أن يقوم نظام إسلامى فى بلد إسلامى ، وهذا نمط من السلوك الذى يعبّر عن هزيمة داخلية تعيشها النخبة المثقفة التى تصنع العقل العربى المعاصر .. إنها ترى فى الإسلام نمطًا فولكلوريًا لا يليق أن يتصدّر الحياة فى المجتمعات الإسلامية ، لأن النموذج الغربى هو الذى يجب أن يسود وينبغى أن يحكم .. أرأيتم كيف تعيش النخبة المثقفة مهزومة تابعة ؟

ويتصور الصحفى العربى المسلم أن « أربكان » سيقيم حكمًا على غرار النظام الإيرانى .. ولماذا النظام الإيرانى بالذات ؟؟ لماذا لم يختر نظامًا آخر مثل « ماليزيًا » مثلاً ؟

إن النظام الإيرانى له خصوصيته المذهبية ، حيث يمثّل علماء الدين الشيعة هناك دورًا متميزًا بحكم معطيات المفاهيم الشيعية التى تختلف إلى حدّ كبير عن المفاهيم الإسلامية السنية فى تركيا ومصر والجزائر والمغرب والهند وباكستان وغيرها .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الإسلامى سيعيد إلى تركيا وجهها الحقيقى الذى شوهته التبعية للغرب الصليبى الظالم ، حيث مزّق دولة الخلافة ، واستعمر بلاد المسلمين وأذلّهم ، ونهب خيراتهم ، وزرع الفتنة فى صفوفهم ، وشغلهم عن العمل المثمر ،

والتفاهم المغدق ، وحوّلهم إلى قصعة الأمم ، وحرمهم من نعمة الحريّة حين سلّط عليهم أتباعه وخدّامه من المقيمين به والمنبهرين بمعسول كلامه !

ويبدو أن الصحفى العربى المسلم لا يدرك جيدًا معنى لقب « آية الله » ومن الذى يطلقه ، وعلى من ؟

إن « أربكان » سنّى ، ولا يمكن أن يطلق عليه هذا اللقب ، بل لا يمكن أن يقبل به أيضًا ، فإن هذا اللقب لا يطلق على من يقيم نظامًا إسلاميًا ، ولكنه مخصوص بأولئك النفر من العلماء الشيعة الذين يبلغون ذروة من العلم يمكن عندها أن يستحقوه ، ولأن « أربكان » ليس عالم دين متخصصًا فلن يحصل على هذا اللقب أبدًا .

مشكلة أولئك النفر من النخبة أنهم يعيشون فقرًا مدقعًا فى فهم دينهم الإسلامى بسبب نظام التعليم من ناحية ، وانبهارهم بالنموذج الغربى من ناحية أخرى ، وبالإضافة إلى ذلك فإن تبعيتهم للحكومات المعادية للإسلام ومنهجه تجعلهم حريصين على ترديد ما تقوله هذه الحكومات ، ولو كان ضد المنطق والتاريخ والمستقبل .

ومشكلة البعض فى العالم الإسلامى أنه ينفذ الإرادة الغربية الصليبية دون أن يدرك ما وراءها من أبعاد ومعالم هى فى الحقيقة تآمر على المسلمين ، واستبعاد لهم من المعادلة الدولية والإنسانية والحضارية .

كان الإسلام ومازال سفينة نجاة للبشرية من الغرق فى أوحال المادية والحيوانية ، وكان ومازال أداة ترشيد للسلوك الإنسانى كى يتوجه الوجهة الخيّرة والمفيدة للبشرية ، ولكن أساطين الغرب لا يحبون هذه الأداة ولا تلك السفينة .. إنهم يريدون الانفراد بالكعكة كلها ، ولن يتمكنوا من ذلك إذا شاركهم فيها المسلمون وبقية الأمم . ومن ثمّ فإن تشويه الإسلام والتنفير منه ، والتشهير به ومطاردته من أوليات العالم الصليبى واهتماماته ، وقد بدا ذلك واضحًا فى أكثر من مكان – فى الفترة الأخيرة – ولعل ما جرى فى الجزائر من

أوضح الأمثلة حيث ساند الجيش ليقوم بانقلاب يقصى رئيس الدولة ويصادر حرية الشعب التى تمثلت فى انتخاب جبهة الإنقاذ الإسلامية ، ويغرق البلاد فى بحار من الدماء والمعتقلات والرعب الذى لم يتوقف منذ سنوات !

إن نجاح حزب الرفاه التركى بقيادة « أربكان » يعنى أن الاختيار الإسلامى هو التعبير الحقيقى عن إرادة الشعوب الإسلامية ، وقد تم ذلك وفقًا للديمقراطية التى تتبناها الدول الصليبية ، فلماذا الذعر ؟ ولماذا الفزع من إرادة الشعوب الإسلامية ؟ ومن النظام الإسلامى ؟

إن الإسلام هو أول من قدم للعالم الحرية بمعناها الرحيب ، ومعها العدل والشورى والأمن والعلم والحضارة والتقدم ..

فلماذا يضيق به القوم - وخاصة بعض المنتمين إليه ؟

إنها لإحدى الكبر .. والله غالب على أمره .

* * *

## حرية الفكر والإبداع .. عندنا وعندهم !

اليساريون والعلمانيون فى العالم العربى ، لا يكفّون عن هجاء الإسلام وعلمائه ، عندما تقوم السلطات المختصة بمصادرة كتاب سافل بذىء ، أو بحث دينى غالط يقوم على الشطط والغلو ، ويرتكز على التزوير والتخليط .. ثم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها حول حرية الإبداع والفكر المفقودة ، ويتكلمون كثيرًا عن « محاكم التفتيش » التى يقيمها « علماء الدين » كما يزعمون ، ثم يصدرون البيانات ، ويعقدون الندوات لمواجهة ما يسمونه بالإرهاب الفكرى أو الجمود الدينى .. إلى غير ذلك من حالات الضجيج والصراخ التى تصبّ فى اتجاه واحد هو هجاء الإسلام والإشادة بالشواذ الذين يسيئون إلى العقيدة والشريعة والإبداع والفكر جميعًا .

وقبل مدة قامت السلطات الفرنسية بمصادرة كتاب الرئيس البوسنى المسلم « على عزت بيجوفيتش » الذى يحمل عنوان « الإسلام بين الشرق والغرب » وقررت عدم عرضه فى معرض الكتاب الذى أقامه معهد العالم العربى فى باريس ، واستندت السلطات فى مصادرة كتاب الرئيس البوسنى إلى قانون صدر فى القرن التاسع عشر يعطى الشرطة الفرنسية الحق فى منع دخول الكتب إلى البلاد فى حال إذا ما رأت أن ذلك يؤدى إلى إضرار بالنظام العام أو إساءة لعلاقات فرنسا الخارجية !

والسؤال هو : هل كتاب الرئيس البوسنى يضرّ بالنظام العام أو يسىء لعلاقات فرنسا بغيرها ؟ بالتأكيد ، فإن كتاب « الإسلام بين الشرق والغرب » لا يفعل ذلك أبدًا .. إن مؤلفه الرئيس البوسنى ، قد كتبه بروح الباحث الموضوعى الذى يقدم الحقائق العلمية بحياد لا يعرف التعصب ، ووعى يسمو على الغفلة ، وتأمل عميق يتجاوز السطحية والانفعال .. فأى ضرر

أو إساءة فى هذا الكتاب ؟ إذًا المسألة أبعد من ذلك وأكبر .

إن فرنسا فتحت ذراعيها - كالدول الغربية الأخرى - للشيطان المارق « سلمان رشدى » وتباكت كثيرًا على حرية الفكر والإبداع التى يغتالها المسلمون ( المتخلفون ؟؟ ) ، وشبع الإسلام وأتباعه هجاءً ما بعده هجاء ، وصدرت الكتب ونشرت المقالات التى تؤيد الشيطان المارق وتقف إلى جانبه ضد ( همجية ) المسلمين ؟ بل تطوع المسئولون الكبار فى بعض الدول الكبرى لاستقباله تعبيرًا عن تضامنهم معه ، مع إسفافه وتجديفه وإساءته الصريحة للإسلام ولنبيّه ﷺ .. وهو الشىء ذاته الذى فعلوه مع المرتدة « تسليمة نسرين » !

ولكن « على عزت بيجوفيتش » كان باحثًا علميًّا ، يتحدث عن حقائق دينه بموضوعية تامة ، ويقوّم علاقة المسلمين بالغرب على ضوء هذه الحقائق .. فلماذا سكت الغرب ، وسكت أتباعه العرب عن مصادرة كتاب « على عزت بيجوفيتش » ، ولماذا لم يتباكوا على الحرية والفكر والإبداع ، ولماذا لم يتحدثوا عن محكام التفتيش ؟ هل لأن جنسيّة من قام بالقمع صليبية ، فلا يجوز الاقتراب منها ؟ أم إن كل شىء مباح ضد الإسلام ، حرام ضد الصليبية ؟

إن مصادرة كتاب « بيجوفيتش » لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة ، فقد صادروا معه نحو خمسة وعشرين كتابًا لمؤلفين آخرين .. وقبل ذلك صادروا .. كتب الداعية الإسلامى الشهير « أحمد ديدات » .. ولم يتوقف الأمر عند مجرد المصادرة ، بل أعادوا النسخ التى أرسلها الرجل بالبريد من أحد كتبه إلى بعض أصدقائه فى فرنسا بوصفها هدايا بحجة أنه لم يستدل على العنوان ؟؟

هكذا تفعل فرنسا التى يراها بعض « التنويريين » العرب بلد النور والحرية .. ضد كتاب إسلامى ، وكتّاب مسلمين .. ترى متى يتكلم « المستنيرون » الذين تخصصوا فى هجاء الإسلام وحده عن حق المسلمين فى الحرية والفكر والإبداع ؟! أعتقد أنهم لن يتكلموا أبدًا !

وكم من الجرائم ترتكب باسمك أيتها الحريّة !

## أيّها الأزهريّون .. عودوا إلى عمائمكم !

أما وقد عاد فضيلة المفتى الجديد إلى زيّه الأزهرى [1] ، وخلع الزى الإفرنجى ، فإن الأمر يستحق إشارة سريعة تتعلق بالإخوة من علماء الأزهر الفضلاء الذين آثروا البقاء داخل البدلة وتركوا العمامة .

المسألة تبدو فى صورتها العامة نوعًا من الحرية الشخصية ، ويبدو الحديث فيها نوعًا من التمسك بالشكليات ، والوقوف على قضيّة ترفيّة لا تسمن ولا تغنى من جوع فى خضم مشكلاتنا الكبرى التى تأخذ بتلابيب الأمة كلها .

والحقيقة - إذا قلّبنا المسألة جيدًا - فإن قضيّة الزىّ الأزهرى تأخذ بعدًا عميقًا فى سياق الهجمة الغربية اليهودية على الإسلام ؛ عقيدة وتصوّرًا وسلوكًا وممارسة ، ثم استسلام معظم الشعوب الإسلامية للنمط الأوربى فى العادات والتقاليد والملابس بصورة تؤكد على هزيمة حضارية واضحة .

الزى الأزهرى الذى كان ومازال.. رمزًا دالًّا على علماء الإسلام وفقهائه ، اندثر أو كاد ، وخاصة بعد انهيار الخلافة الإسلامية ، ونهوض الحكومات العسكرية الدنيويّة التابعة للنمط الأوربى فى أرجاء العالم الإسلامى ، وقد حاول بعض علماء الأزهر الشريف التمسّك بزيّهم من خلال مناصبهم أو إدارتهم لبعض المعاهد الأزهرية ، ولكن هذه المحاولة باءت بالإخفاق فى النهاية ، وخاصة بعد انقراض صناعة الطرابيش ، وتخلّى « الأفندية » عن ارتدائها بوصف ذلك تمرّدًا على « الاستعمار التركى » من جانب أنصار « الاستعمار الأوربى » !

---

(١) هو فضيلة الدكتور « نصر فريد واصل » ، وكان أستاذًا بجامعة الأزهر .

هناك معهد أزهرى فى « شبرا الخيمة » مازال حتى الآن قابضًا على الجمر ، يرتدى طلابه وشيوخه الزىّ الأزهرى ويحافظون عليه ، ولا أدرى هل سيصمدون أمام الغارات المضادة ، أم يرفعون راية الاستسلام !

بيد أن المشكلة تبرز عند تعيين القيادات الأزهرية فى مناصب علمية رفيعة ، وخاصة إذا كانت هذه المناصب لا يتوقف تأثيرها عند الحدود المصرية ويتجاوزها إلى العالم الإسلامى كله بوصف مصر العقل الإسلامى الرائد والقائد ، عندئذ فإن البحث عن «معمّم» يبدو أمرًا مُجْهدًا ، أو يفرض على صاحب المنصب المختار أن يعود أدراجه إلى زيّه القديم ويترك الزىّ الإفرنجى !

ومع ما جرى من ضرباتٍ متلاحقة للأزهر وعلمائه ، فقد شاع إحساس عام بأن الأزهر قلعة الإسلام وحصن الدين فى طريقه إلى الزوال ، والتحوّل إلى مجرد مدرسة من مدارس وزارة التعليم ، فقد صدر فى أوائل الستينيات قرار تطوير الأزهر ، وتم إدخاله فى متاهة الكليات العلمية ( طب ، هندسة ، علوم ... إلخ ) فى الوقت الذى صار فيه الطالب الأزهرى ينوء بأثقال علمية لا يستطيع النهوض بها ، فضلًا عن ضعف تحصيله فى القرآن الكريم واللغة العربية أساس الأزهر وأسّه معًا ؛ إلى الدرجة التى شاعت فيها النكات المبشرة بشيخ للأزهر لا يحفظ القرآن ، ولا يستطيع الإعراب !

بيد أن الأمور لم تمض على هوى الذين يريدون تدمير الأزهر ، فهناك من أبنائه من ينشطون للحرص عليه والإبقاء على رسالته ملاذًا آمنًا لمسلمى الأرض يحمى العقيدة ويذود عن الحرية ، ويجاهد من أجل استقلال المسلمين وكرامتهم وعزّتهم .

وكان من المفارقات أن يتحوّل - فى عزّ المعمعة - رجلٌ درس الفلسفة فى السوربون ، ويرتدى الزى الإفرنجى ، إلى شيخ معمّم يقف داخل قاعة الإمام محمد عبده بصورته الجديدة ، ويعلن على الملأ أنه فعل ذلك ردًّا على

من يسخر من علماء الأزهر وشيوخه ، ويصير هذا الرجل فيما بعد شيخًا للأزهر الشريف ، ويتردد اسمه فى أرجاء الدنيا رمزًا للعالم العامل المجاهد ، وكان اسمه الشيخ « عبد الحليم محمود » .

يعلّل بعض علماء الأزهر تفضيل الزى الإفرنجى بأن ذلك يرجع إلى أسباب عملية أكثر منه استسلامًا لصورةٍ غربية قاهرة وغالبة .. وهذا صحيح فى بعض جوانبه ، ولكن المنظور العام يؤكد على شىء آخر هو أن « الزى الأزهرى » ليس مجرد زىّ ، ولكنه رمز لشىء أكبر وأعظم هو التمسك بالهوّية الإسلاميّة وخاصة فى زمن الاجتياح الغربى والهيمنة المضادة ، ثم هو من قبل ومن بعد رمز للإسلام الصحيح من خلال علمائه الحقيقيين .

تأمل مثلًا إصرار اليهود على ارتداء الطاقية فى المناسبات المختلفة حتى فى حفلات الموسيقى التى يقيمونها ، وتأمل مثلًا حرص رجال الدين غير المسلمين على الملابس الكهنوتية ، بل تأمل بعض الشعوب التى تحرص على زيّها القومى فى العمل والإجازات والمناسبات المختلفة ، وقارن ذلك على الجانب الإسلامى سواء على مستوى علماء الدين أو الشعوب .

إن العودة إلى الزىّ الأزهرى ، وخاصة فى المعاهد الأزهرية والكليات التابعة للأزهر ومحاريب المساجد ، باتت ضرورة تحتّمها طبيعة الأحداث والمواقف التى تمرّ بها الأمّة ، وهى أحداث ومواقف تستهدف عقيدة الإسلام ووجود المسلمين نفسه كما نعلم .. ولا ريب أن علماء الأزهر الشريف يعلمون جيدًا أن قوى الشرّ الدولية فى سعيها الدءوب للتشهير بالإسلام ووصفه بالتطرّف والإرهاب والإظلام ؛ تسعى إلى أن يقطع المسلمون كل رباط يربطهم بدينهم ، وكل مظهر يعبّر عن انتمائهم إليه .

وأتصوّر أن الإعلان عن التمسّك بالدين فى هذه اللحظات بالذات من أفضل الجهاد عند الله ، وفى الوقت ذاته توصيل رسالة إلى أشرار العالم الذين يسعون فى الأرض فسادًا بأن الأمة الإسلامية لن تستسلم ولن تتخلى عن دينها مهما كانت ضراوة الملاحقة والحصار والمطاردة .

منذ بدأ استعمار مصر على يد الإنجليز ، والزىّ الأزهرى يتعرض للسخرية والاستهزاء فى أكثر من مجال : على خشبة المسرح وشاشة السينما والتلفزيون وأماكن أخرى ، وهو ما لم يحدث مع زىّ آخر أبدًا .. وأعتقد أن الردّ العملى – وخاصة فى هذه الأيام – يكون بتقليد ما فعله الإمام « عبد الحليم محمود » يرحمه الله .

أيها الأزهريّون .. عودوا إلى عمائمكم .. واجتهدوا فى استعادة الأزهر ممن سرقوه وحاولوا اغتياله وتفريغه من مضمونه ورسالته .. يرحمكم الله .

* * *

## المثقفون الخونة .. وقضية الحرية !

يبدو أن منطق الخلط والتدليس فى حياتنا العامة صار سمة أساسية تنسحب على كل المجالات ، بما فيها المجال الفكرى والثقافى والأدبى ، فالمصطلحات مراوغة ، والحقائق مبتورة ، والأهواء غالبة ، والعصبيات فاصلة ، والتهويش سيّد الساحة ..

ولهذا رأينا معالجة قضايا الأمة تُطرح طرحًا منقوصًا أو مبتسرًا ، وتخضع لنظرةٍ أحادية محدودة ، بعيدة عن الموضوعية والحياد والنزاهة .

ولا ريب أن الضجيج الذى صاحب صدور الحكم فى قضية « أبو زيد » غير الهلالى ، كان أنموذجًا متكاملًا للخلط والتدليس ، فضلًا عن الإساءة إلى القضاء المصرى والافتئات على القضاة ، والتحريض ضدهم بأسلوب رخيص وفجّ (!) مما يعنى أن القضية ليست قضيّة حريّة تعبير أو تفكير .. فمصر المسلمة ظلت طوال عمرها ساحة للحوار الخصب والحىّ ؛ حتى فى ظل الفترات الخامدة التى تراجع فيها العلم والتعليم ( القرن الثامن عشر مثلًا ) ، ولم تعرف مصر الفكر الواحد ، والاتجاه الواحد ، والرأى الواحد ، والمفكر الواحد ، والزعيم الواحد إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين ، حيث صار كل مخالف : رجعيًّا ومتخلّفًا وثورة مضادة ، وظلاميًّا ، ومرتدًا ، وَمُتَأَسْلِمًا ، وعميلًا للسعوديّة أو إيران .. وربما نسمع غدًا أنه عميل لجزر القُمر !

كان الضجيج يركز على حرية التعبير والتفكير فى اتجاه واحد يمثّله المحكوم عليه ، أما ماعداه فلا يعنى القوم ، بل إنهم يشاركون فى قمعه وإخماده والقضاء عليه وخاصة ما يطلقون عليه « الإظلامى » أى الإسلامى ( ! ) والمطالبة بمصادرة كتبه ومشروعاته ، والتصفيق لقتله وإعدامه !

وحرية التعبير والتفكير بهذا الشكل قاصرة ومنقوصة ، فعندما أنادى بها لنفسى ، يفترض أن أنادى بها لغيرى أيضًا ، وأن أواجه الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، وهكذا يمكن أن يكون الحوار مثمرًا ، والنقاش مفيدًا ، وتثرى ساحة الفكر والثقافة ، ولكن الكارثة تكتمل عندما نجد أحادىّ الفكر والنظرة يُهيمن على وسائل التعبير المؤثرة ووسائط النشر الفعّالة ، ولا يبقى للخصم غير منافذ محدودة ومتواضعة .

ويلاحظ بصفة عامة أن قضيتنا - نحن الشعب - هى الحرية بالمعنى الشامل الكامل ، التى تعطى كل فرد فرصة متكافئة فى المشاركة والأمن والعمل والعدل والشورى والحرية والمساواة .

والفرصة المتكافئة تعنى أن الأمة قادرة على إقامة حياة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، خالية من الغشّ والتزوير والتدليس ، سواء فى الانتخابات أو الامتحانات أو إصدار القرارات .. وإذا لم تتحقق هذه الفرصة ، فإن الأغلبية محكوم عليها بالعبودية من جانب أقلية تتمتع بكل شىء تعبر عنه السُّلْطة المطلقة التى تكتسح كل من يقف فى طريقها .

الشعب المصرى قضيته الأساسية هى الحرية بمعناها العام والخاص ، وهو محروم منها منذ نصف قرن ، وتحكمه الطوارئ غالبًا ، ولا يستطيع أن يغيّر حكومة أو ينشئ قرارًا حقيقيًا يعبّر عن إرادة الناس .. لذا تصبح حرية « أبو زيد » غير الهلالى التى تعنى الطعن فى الإسلام وتجريحه ، وتطبيق التصوّر الماركسى فى تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، خروجًا على السياق العام لمحنة الشعب المسكين ، بل إسهامًا غير كريم فى إهدار عنصر المقاومة الوحيد الذى يحافظ على هويّة الأمة أمام جبروت العواصف العاتية التى تسعى إلى تخريب العقول ، وإغلاق القلوب ، وتحطيم الأفئدة .

حرية « أبو زيد » غير الهلالى فى هدم قيم الإسلام ؛ تعنى المزيد من إهانة الشعب المصرى والإساءة إلى مقدساته ؛ لأن الذين يقفون من وراء « أبو زيد » يكرّسون ولاءهم لفكرٍ آخر وهويّة أخرى ، ومصيرٍ مغاير لمصير الشعب العربى المسلم فى مصر .

ولو كانت قضيّة الحرية عندهم قضية حقيقيّة ، لتجاوزت الدفاع عن حرية سبّ الإسلام وإهداره على يد « أبو زيد » غير الهلالى ، وتسليمة نسرين ، وسلمان رشدى ، ومن أهان الأنبياء بدعوى تحليل نفسياتهم وسلوكياتهم نازعًا عنهم العصمة والنبوة .

لقد قامت فرنسا مركز التنوير الذى يستمدّ منه البعض إلهامه ووحيه وثقافته بمصادرة مجموعة من الكتب الإسلامية ، وملاحقة مؤلفيها ، ومع ذلك لم نسمع لهذا البعض الذى أقام ضجة كبرى من أجل « أبو زيد » غير الهلالى ، أىّ صوت أو احتجاج .

صادرت فرنسا المستنيرة كتاب الدكتور « يوسف القرضاوى » المسمى « الحلال والحرام فى الإسلام » ، لأنه يمثل خطرًا على الفرنسيين ، وفقًا لقانون فرنسى صدر منذ حوالى قرن من الزمان .. ومع ذلك لم تقم ضجة فى مصر تشجب العدوان الفرنسى المستنير على كتاب يشرح العبادات فى الإسلام مثل الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج ، ولم يتفوه من يقفون وراء « أبو زيد » غير الهلالى وتسليمه نسرين وسلمان رشدى بكلمة عن الكتاب المصادر ، الذى لا يدعو فى أية صفحة من صفحاته إلى تدمير فرنسا أو احتقار فكرها أو تاريخها أو حاضرها .

وصادرت فرنسا المستنيرة كتاب الرئيس البوسنى « على عزت بيجوفيتش » الذى ألّفه عن « الإسلام بين الشرق والغرب » ، وهو بحث علمى جاد ، كتبه الرجل بمنهج غربى بعيد عن الإثارة ، إنحاز فيه للدين بعامة ، والإسلام خاصّة ، دون أن يهين أية عقيدة أو شريعة ، وضعية أو إلهية ، ومع ذلك ضاقت به فرنسا المستنيرة ، وصادرته وتحدثت عن المصادرة وكالات الأنباء العالمية ، ولكن المستنيرين فى بلادنا لم ينطقوا بحرف دفاعًا عن الرجل المظلوم ، فضلًا عن صمتهم المريب حيال المذابح التى جرت لشعبه والدمار الذى لحق بوطنه !

صادرت فرنسا المستنيرة كتب الداعية الإسلامى الشهير « أحمد

ديدات » التى يتحدث فيها عن الإسلام بالتى هى أحسن ، بل تمادت وأعادت إليه النسخ التى كان يرسلها بالبريد إلى أصدقائه فى باريس بحجة « عدم العثور على المرسل إليه فى العنوان المذكور » .. وإذا كان من الممكن القبول بهذه الحجة مع نسخةٍ أو عشر نسخ ، فإن عودة النسخ جميعًا يعنى أن « التنوير » الفرنسى لا يتسامح مع كتابات « ديدات » .. ومع ذلك فإن المستنيرين العرب لم يرفعوا أصابعهم ليسألوا المستنير الفرنسى : لماذا فعلت هذا بكتاب الرجل ؟!

صادرت فرنسا المستنيرة كتاب « جارودى » الجديد « الأساطير المؤسسية للسياسة اليهودية » ، وأقامت عليه الدنيا ، ولم تقعد حتى الآن ، وقدمته إلى القضاء ، ولم تسمح له بالدفاع عن نفسه فى الصحف وأجهزة الإعلام ، بل إن رجل دين مسيحى مثل « الاب بيير » الذى تعاطف مع « جارودى » ويحظى بشعبية فرنسية كبيرة ، لم يجد مفرًّا من الرحيل إلى الجبال هربًا من الملاحقة والمطاردة التى تشنها ضده وضد « جارودى » فرنسا المستنيرة !!

ترى لماذا لم يتكلم المستنيرون العرب فى بلادنا بكلمة فى الموضوع ؟؟

الواقع أن القوم لا تعنيهم قضية حريّة التعبير أو التفكير من قريب أو بعيد الذى يعنيهم شىء واحد فقط هو استباحة الإسلام ، وإهداره ، والنيل منه بكل وسيلة ممكنة ، وهو ما كان يفعله المستشرقون على استحياء غالبًا ، ولكن خلفاءهم من أبناء وطننا وملّتنا أرادوا أن يثبتوا أنهم أكثر جدارة من المستشرقين ، وأقوى على خدمة مصالح الغرب المستنير ، واليهود المستنيرين ، وإلا كيف نفسر هذه الهجمة الرخيصة على كل ما هو إسلامى أو ينتمى إلى الإسلام بصورة أو أخرى ؟

فى تصوّرى أن المصريّين شعب متديّن منذ القدم ، وأنه لن يترك إسلامه أو نصرانيته لحساب حفنة من المثقفين الخونة .. خانوا الإسلام والنصرانية جميعًا ، وعملوا بلا حياء لحساب الأعداء والأشرار ، ونسوا قضية الحرية الحقيقية التى يجب على كل قلم شريف أن يدافع عنها ، وبها من أجل مصر الغالية .. واسلمى يا مصر .

# واحد من النخبة !

مشكلة النخبة فى العالم العربى والإسلامى أن ولاءها لمصالحها أولًا ، ثم لمن بيدهم هذه المصالح ، أقصد الحكومات المحلية والحكومات الغربية ، أو الغرب عمومًا .. ومن ثمّ ؛ فإنهم يعيشون انفصامًا واضحًا بين ولائهم وواقعهم ، ويوقعون جمهرة الناس فى مآزق قاتلة هم فى غنى عنها .

وأوضح مظاهر هذا الانفصام هو العداء السافر أو المقنع للإسلام ، ورفض التحاور معه ، والحرص على التشهير به وبالمنتسبين إليه ؛ لأن ذلك هو الطريق إلى رضا عناصر الاستبداد ، ومكافآت الغرب السخيّة .

ولعل أبرز الأمثلة الساطعة على هذا السلوك ، يقدمها لنا الدكتور « **بطرس غالى** » ، أمين عام الأمم المتحدة [1] ، وكان أستاذًا جامعيًا يُدرِّس العلوم السياسية والاقتصادية بجامعة القاهرة ، ويرأس تحرير مجلة السياسة الدولية التى تصدرها مؤسسة « الأهرام » ، وعيّن قبل تولى منصبه الحالى وزيرًا للدولة ونائبًا لرئيس الوزراء للشئون الخارجية .. يفترض فى الرجل أنه يملك وعيًا قويًا بواقع أمته التى ينتمى إليها ، وبأحداث العالم ، فضلًا عن ضمير المثقف الذى يقف دائمًا فى صف الإنسان المظلوم ، أيًّا كان هذا الإنسان ، فإلى أى مدى وقف الرجل فى جانب حقوق الإنسان ؟

لا ريب أن الرجل فجع الإنسانية عامة والعرب خاصة ، حين آثر الولاء لمصالحه ، مضحيًا بقيم الحق والعدل والحرية .. فعل ذلك بالنسبة

---

(١) استغنت الحكومة الأمريكية عن خدماته ، ورفضت التجديد له فى منصبه ، وعيّنت شخصًا آخر فى مكانه ؛ يدعى « كوفى عنان » !

للفلسطينيين ، وكرّره بالنسبة للبوسنيين ، ومسلمى بورما ، وقبرص ، والفلبين وغيرهم .

لقد قبل أن يترك دور الأمم المتّحدة للولايات المتحدة واليهود ، وآثر أن يقف دائمًا إلى جانب اليهود ويتبنى وجهة نظرهم على طول الخط .. يكفى مثلًا أنه يسارع بإصدار البيانات والإدانة عندما تقوم فصائل المقاومة الفلسطينية بعملية ضد العدوّ اليهودى المحتل - وهو حق بحكم الدين والقانون الدولى - وفى الوقت ذاته ، فإن يصمّ أذنيه ويغلق فمه عندما تقوم القوات اليهودية الغاصبة بقتل الفلسطينيين فى الضفة ، واللبنانين فى الجنوب ، وتنسف البيوت ، وتعتقل النساء والشباب والشيوخ ، وتقصف لبنان بالطائرات والمدفعية .

أما دوره المخزى فى « البوسنة » فأوضح من أن يذكر ، وقد تحدث عنه الغربيون أنفسهم قبل العرب والمسلمين ، ومن المؤسف أن تقف وراءه النخبة فى البلاد العربية تؤازره وتدافع عنه ، وتقمع الأصوات الرافضة لسلوكه ومنهجه .

لقد أرسلوا إليه فى نيويورك مقدم برامج طائفيًا متطرفًا ليذيع حوارًا تلفزيونيًا معه ، يدافع فيه عن موقفه المخزى من أهل البوسنة ، ودعمه غير المباشر للصّرب من خلال علاقته بقوات الأمم المتحدة فى البلقان ، أو قرارات مجلس الأمن .

لقد سكت عن المذابح والمجازر ، وقاد مجلس الأمن لمنع تسليح الشعب البوسنى ، وتبنى بكل قوة موقف « فرنسا » المعادى لمسلمى البوسنة ، والموالى للصرب ..

صحيح أن فرنسا صاحبة فضل كبير عليه حين تبنت اختياره فى منصب أمين المنظمة الدولية ، ولكن هذا الفضل لا يمنعه أن ينحاز إلى حقوق الإنسان التى تنادى بها الأمم المتحدة ، وتعتمد عليها فى اتخاذ

قراراتها ضد الدول المعتدية .. كان يمكنه أن يلزم الصمت فى الكثير من المواقف على الأقل ، وكان يمكنه أن يستقيل مثلما فعل « مازوفسكى » رئيس محكمة مجرمى الحرب فى لاهاى ، الذى أعلن أن ضميره لا يسمح له بالاستمرار فى منصبه أمام صمت العالم الأوربى على جرائم المعتدين الصرب ، وتقصير الأمم المتحدة تجاه الشعب الأعزل فى البوسنة .

المفارقة أن أمين الأمم المتحدة يعلن بكل جرأة : أن ضميره مستريح بالنسبة لدوره فى البوسنة ، وأنه أكثر انتماء لوطنه من أى وقت مضى !

( الأهرام ١١/١٢/١٩٩٦)

إن الدكتور « بطرس غالى » نموذج لواحد من النخبة العربية التى آثرت مصالحها على مصالح الشعوب ، وفضلت الولاء لأعداء الإنسان على الولاء لحقوق الإنسان ، وهو ما يعكس أسباب انفصام النخبة ، وانفصالها عن قاعدتها الأساسية وهى الشعوب ، ويفسّر فقدان الثقة بين الطرفين .

إن النخبة العربية مطالبة أن تراجع موقفها بصفة عامة ، وأن تعدّل ولاءها ، وتقبل الحوار مع الآخر ، أعنى الطرف المسلم الذى يمثّل الأغلبية الساحقة ، ويعبّر عن هوية الأمة .

* * *

# بطرس الحفيد .. وخدمة الغُزّ !

« **آخر خدمة الغزّ علقة** » ..

هكذا يقول المثل العامى ، ولكنه فى حالتنا كان « آخر خدمة الغز إعدامًا » ، وهذا ما حدث بالضبط للأستاذ الدكتور « **بطرس غالى** » الأمين العام السابق للأمم المتحدة ، فقد أعدمته ( معنويًا ) كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، مثلما أعدمت بريطانيا العظمى جدّه « **بطرس باشا غالى** » ( جسديًّا ) قبل نحو ثلاثة أرباع القرن .

للأسف الشديد لم يتعظ الحفيد ، مما جرى لبطرس الجدّ ، ولم يعتبر برأس الذئب الطائر ، فضلاً عن الارتماء الكامل فى أحضان الجلّاد ، دون مراعاة لطبيعة الانتماء القومى أو الوطنى أو الدينى .

وأحسبنى حين أتكلم عن « بطرس الحفيد » بعد إعدامه معنويًا ، أسبح ضد التيار الذى صنعته وأطلقت عقاله أجهزة الدعاية والصحف الحكومية المسماة بالقومية ، فقد قدمته هذه الصحف وتلك الأجهزة على أنه الوجه الممثّل لمصر والعرب وإفريقية ، وهو وجه يفترض فيه الانتصار للقيم العليا والمثل الرفيعة وحقوق الإنسان التى سجلتها مواثيق الأمم المتحدة وهيئاتها المتعدّدة .. مع مقاومة الظلم الدولى والهيمنة الاستعمارية ، وذلك من خلال الالتزام بالقانون الذى سّنته الهيئة الدولية وقبلت به الدول المنتمية إليها كبيرة أو صغيرة .

للأسف الشديد ، فإن « بطرس الحفيد » لم يكن ذلك الوجه المأمول ، للتعبير عن قضايانا ؛ مذ بدأ حياته فى كواليس التنظيمات الحزبية اليسارية ، وإصراره فى الوقت ذاته على التعبير الطائفى المتعصب من خلال الشخصيات

الطائفية المتطرّفة التى تعلّم على يديها وتربى ، أو من خلال عمله الأكاديمى أو الصحفى ( فى الأهرام والسياسة الدولية ) ، أو فى دهاليز الحكم والسلطة عندما كان وزيرًا مسئولًا عن الشئون الخارجية !

آية ذلك أنه كان مع التصوّر الغربى الاستعمارى قلبًا وقالبًا ، مما يمكن معه القول أنه كان تلميذًا مخلصًا للمدرسة الاستعمارية التى رعاها « **كرومر** » ، وكان جدّه من طلائعها ، وهى مدرسة استطاعت أن تستقطب بعض الأسماء النصرانية والإسلامية ، وتمكنت فيما بعد من الهيمنة على الحياة السياسية والفكرية والثقافية ، وكانت غايتها الأولى سلخ مصر المسلمة عن إسلامها ( الذى هو حضارة للنصارى ) ، وعن هويتها ولغتها ، فضلًا عن حرمانها من الاستقلال والحرية وبناء المستقبل .

مواقف بطرس الحفيد على امتداد حياته كانت تعبيرًا واضحًا عن غاية المدرسة الاستعمارية ، ومنهجها المخادع الذى يسعى لتحقيق أهدافه عن طريق دعاوى كاذبة بدءًا من الاشتراكية حتى التحديث والاستنارة !

ما وقف يومًا مع استقلال الوطن ، ولا مصالح الأمة ، ولا دافع لحظة عن مصائر المسلمين المقهورين فى أرجاء الأرض ، لا بقلمه ولا بمنصبه .. ومن المفارقات التى أشير إليها خطفًا على سبيل المثال ( فى هذا الحيّز الضيق ) أنه لم يلتفت أبدًا إلى كفاح الشعب الإريترى المسلم ، مع أن كثيرين طالبوه بذلك ، ولكنه عندما تأكد أن « أسياس أفورقى الصليبى » قد حسم الموقف لصالحه فى إريتريا ، بدأ يهتم بالشعب المظلوم على أساس نظرته الطائفية .

أما موقفه من البوسنة ، فلا يحتاج إلى إيضاح ، لأن الدنيا كلها تعلم أن بطرس الحفيد تآمر مع سادته الذين يخدمهم حتى تم تحقيق الهدف الصليبى المرحلى للصرب والغرب ، دعنا من الدفاع المتهافت الذى يسوقه بعض الطيبّين الذين تحرّكهم بعض المصالح الضيّقة ، أو يأخذون الأمور

مأخذًا سطحيًا ، فقد استقال رئيس المحكمة الدولية فى « لاهاى » لمحاكمة مجرمى الحرب الصرب والكروات عندما تأكد من المؤامرة ، ولم يحتمل ضميره أن يستمر فى متابعة المهزلة ، ولو فعل بطرس الحفيد آنئذ ، ما فعله رئيس المحكمة الكاثوليكى ، واستقال من الأمم المتحدة ، لدخل التاريخ من أوسع أبوابه ، ولكنه آثر مصلحة مستخدميه تحت حجج واهية ، ودفاع متهافت ؛ تحمّل الشعب المصرى الفقير ثمنه من خلال بعثة تلفزيونية ذهبت إليه فى نيويورك يقودها طائفى متطرف ، عاد ليقول لنا كلامًا غثًّا وسمجًا فحواه : أنه مجرد موظف فى الأمم المتحدة ! يا سلام يا موظف !

لقد رشحته فرنسا - أول مرة - لأمانة الأمم المتحدة لأنها تعلم أنه خادم مخلص لسياستها الاستعمارية ، ووافق الغرب على الترشيح لهذا السبب ، وفى المرة الثانية التى تم فيه إعدامه معنويًا ، وجد الجميع خادمًا آخر أكثر إخلاصًا ، وأكثر استيعابًا لدرس اللعب على الحبال بين المستخدمين ، وصدق المثل العامى « آخر خدمة الغزّ ... » .

وليته يراجع فى هدوئه ومستقرّه مرة أخرى تاريخ جده الذى يشبهه فى حياته كثيرًا مذ كان طالبًا فى أوروبة ووزيرًا للمالية والخارجية ، ورئيسًا لمجلس الوزراء أو النظار كما كان يسميهم الناس يومئذ ، ثم انحرافه بتوقيع اتفاقية السودان وترؤسه محكمة « دنشواى » ، وإعادته قانون المطبوعات ، ومقاومته الجمعية العمومية ، ورضاه بمدّ امتيازات قناة السويس على حساب المصلحة الوطنية .. مما دفع إبراهيم ناصف الوردانى ( الشاب القبطى ) إلى قتله حيث قُتِل به ، كما يقول صاحب الأعلام (٥٩/١) .

ولعل تلاميذ المدرسة الاستعمارية الآخرين يتعظون بما جرى لأستاذهم المستنير ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .. واسلمى يا مصر .

* * *

# اليوبيل الفضى

مضى ربع قرن على نيافة « **الأنبا شنودة** » رئيس الكنيسة الإرثوذكسية المصرية فى منصبه ، ونحن نهنئه بهذه المناسبة ، ونتمنى أن يحتفل بالعيد الذهبى ، والعيد الماسى والعيد البلاتينى فى هذا المنصب المرموق .

ولا نجد غضاضة فى ذلك ، فعمرو بن العاص عندما دخل إلى أرض جدّته « هاجر » استدعى الحفيد « بنيامين » وأعاده من مهربه ، وأعاد للكنيسة المصرية اطمئنانها وازدهارها .. الكنيسة المصرية إذًا جزء من تاريخ مصر المسلمة ثقافة وحضارة ، لا تنفك عنه ولا تستطيع ، لذا يهمّ المسلمين أمرها وأوضاعها واستقلالها ، وهو ما يجعلنا لا نجد غضاضة فى تهنئة رئيسها بعيد جلوسه الفضى ، وتمنياتنا له بأعياد أخرى .

وقد لوحظ أن جموع الصحفيين وخاصة « بتوع التنوير إيّاه » قد هرعوا إلى نيافة الأنبا ؛ وأجروا معه حوارات مطوّلة نشرت على صفحات عريضة ، ولم يكتف البعض بالنشر فى عدد واحد بل طرح الحوار فى أعداد متتابعة ، وكانت تظاهرة مثيرة للانتباه والغرابة ، ففى اللحظات التى يصبّ فيها « أهل التنوير » جام غضبهم على علماء الإسلام وهجائهم ، تأتى هذه التظاهرة لتطرح استفهامات عديدة ، خاصة وأن « أهل التنوير » يتحوّلون فى حضرة « الأنبا » إلى قطط أليفة وديعة مهذّبة يجرحها النسيم !

وأذكر أن إحداهن – وهى يسارية بينها وبين الأديان عداوة لا تنتهى – قالت ذات مرة : إنها فى حضرة الأنبا تشعر بأنها فى عالم آخر من الراحة والأمان .. ولا بأس أن يشعر اليساريون وأهل التنوير بالراحة والأمان فى أى مكان ، وإن كننا نطلب منهم أن يترفقوا بدين الأغلبية وعلمائها ولو من باب المجاملة .

فى عهد « **الأنبا شنودة** » شهدت الكنيسة أحداثًا جسامًا بلا ريب تقتضى أن نذكّر بها من أجل العمل على قطع دابر الفتنة وصناعها ، وتحقيق التعايش الذى يستمد مصدره من الاقتناع الذاتى ، وليس القهرى أو الريائى !

١ - شهدت البلاد فى عهد نيافته اشتعالًا لم يكن له مثيل فى أى عهد ، ففى الوقت الذى كان « **أنور السادات** » يهيئ فيه البلاد لكسر الذراع اليهودية فى سيناء المحتلة ، كان بناء الكنائس وافتعال الأزمات وتقديم المطالب السياسية يصبّ فى خانة معاكسة لتوجيه الدولة نحو القتال لتحرير الأرض ، ومع ما قدمه « السادات » من تنازلات ، فقد كان الإصرار على إشغاله عن الهدف الاستراتيجى مسألة واضحة لكل ذى عينين .

٢ - يفاخر نيافة « **الأنبا شنودة** » فى أحاديثه إلى « أهل التنوير » بأنه رفض تطبيق الشريعة وتطبيق قانون الرّدة ، وهى مسألة تحتاج منه إلى مراجعة ، لأن تحكّم الأقلية فى الأغلبية أمر مؤسف ، ويعنى أن المطلوب من الأغلبية تسليم قيادها للأقلية ، فضلًا عن امتهانها فى أخصّ ما تملكه وهو العقيدة ، وحتى الآن ، لم يثبت أن الأغلبية المسلمة تدخلت فى تطبيق الشريعة المسيحية على النصارى ، أو فرضت الإسلام عليهم .. فلماذا يتدخل نيافة الأنبا فى أمر هو من أخص خصائص الأغلبية ؟

٣ - يدّعى نيافته أن « **السادات** » استعان بالإخوان المسلمين الذين فرّغوا شحنة الظلم فى النصارى ! ولست هنا فى مجال الدفاع عن الإخوان فهم أقدر على الدفاع عن أنفسهم ، ولكن يبدو أن نيافة الأنبا ينسى أو يتناسى أن أكثر من ٩٥٪ من الشعب القبطى المصرى يدينون بالإسلام ، وأن هامش الحرية الذى سمح به « السادات » جعل الأغلبية تعبّر عن رغبتها العارمة فى استعادة دينها الذى سرقه الاشتراكيون الثوريّون المهزومون ، أما التفريغ فى النصارى فهى مسألة عجيبة ، لأن النصارى عاشوا وما زالوا فى حصانة يتمنى الأقباط المسلمون أن يحصلوا عليها كى لا تداهمهم غارات الأجهزة الأمنية والكمبيوتر الذى يسجّلهم فى خانة المطلوبين فورًا ، أو

المطلوبين لاحقًا ، ولجان تقصى الحقائق أثبتت فى كل الأحوال أن الطرف المعتدى عليه والمُسْتَفَزّ دائمًا هو الأغلبية المظلومة !

٤ - يحاول نيافته دائمًا أن ينفى عن نفسه الصفة السياسية التى يتعامل بها مع الدولة والأحداث ، ويرى أن هناك فرقًا بين الرأى السياسى والاشتغال السياسى ، والحقيقة أن نيافته بأقواله وأفعاله كان فى دائرة الاشتغال السياسى ، بدليل أن الذين يهرعون إليه من أصحاب المناصب والمنابر يعلمون أنه صاحب قول فصل ، وأنه يملك بتأثيره ما لا يملكه آخرون ، ولعل التظاهرة الصحفية بمناسبة اليوبيل الفضى لترسيمه خير دليل على ذلك .. بل إن البعض لا يتردد فى وصفه بالرئيس الموازى لرئيس الدولة !

ولعل الخلاف بين نيافته وبين أستاذه الأب « **متى المسكين** » يتركز حول هذه النقطة ، حيث يرى الأخير أن مجال الكهنوت هو الكنيسة وليس خارجها .

لعل أخطر حَدَثٍ جرى فى عهد نيافته هو فقدان الكنيسة المصرية الإرثوذكسية استقلالها الذى تمتعت به منذ تحريرها على يد **عمرو بن العاص** حتى وفاة « **الأنبا كيرلس** » وذلك بدخولها تحت عباءة مجلس الكنائس العالمى ، وهو تشكيل استعمارى تبشيرى لا يخافت بذلك ولا يغمغم ، وهو مجلس شرّ فى كل الأحوال ، وغايته القصوى تخريب العالم الإسلامى ، وإشعال النار فى أرجائه ، وقد نجح نجاحًا ملحوظًا فى إبادة مئات ألوف المسلمين فى البوسنة والشيشان والسودان وأوغندة ولبنان والجزائر وغيرها ، وله كثير من الخدم المسلمين فى أجهزة الدعاية والمؤسسات التعليمية والثقافية .. وهو يسعى فوق ذلك إلى الهيمنة على الكنيسة الأم للنصرانية فى العالم وهى الكنيسة المصرية ، وإذا أضفنا إلى ما سبق خروج الأحباش عن كهنوت بطريركية الإسكندرية واحتلالهم للدير فى القدس ، عرفنا رغبته الشريرة فى إلغاء كل أثر استقلالى للكنيسة المصرية وسيادتها .. صحيح أنه

يقدم دعمًا ماليًا سخيًا ، ولكنه يقصد أن يدور الجميع فى فلكه الاستعمارى التبشيرى « إنجيليًا كان أو كاثوليكيًا فحسب » !

لعل نيافته بعد مضىّ ربع قرن على قيادته للكنيسة يراجع ما جرى من أحداث ، ويدرك أن قهر الأغلبية ، وحرمانها من التعبير عن هويتها ، والتفريط فى استقلال الكنيسة ، عوامل اضطراب أكثر منها عوامل استقرار .. وليت الحوار الحرّ الصريح يكون الوسيلة الوحيدة للتعايش والتناغم ، فالفتنة دخيلة على شعبنا القبطى المسلم النصرانى ، وصناعها من خارجه بكل تأكيد ، واسلمى يا مصر .

★ ★ ★

## الناصرية الثانية !

حرص الرئيس « مبارك » فى أول عهده أن يشير إلى تميّزه عن الرئيسين السابقين : جمال عبد الناصر ، وأنور السادات ، ورفض أن يصنفه أحد فى معيّة واحد منهما أو يعدّه امتدادًا لسياسةٍ ناصرية أو ساداتية .

ومع ذلك ، فإن الأمور مضت على غير ما يهوى الرئيس ، واستطاع الناصريّون أن يحوّلوا النظام إلى نسخة أخرى معدّلة من الدولة الناصرية الأولى ، وصارت الرموز الناصرية تحتل المواقع المهمّة والحسّاسة فى الدولة ، وتؤثر تأثيرًا قويًّا فى صنع القرار السياسى والاجتماعى والثقافى والدعائى ( يسمى الإعلامى خطأ ) ، ويمكن لمن يتابع الوظائف الكبرى فى مجلس الوزراء والمحليات والجامعات والصحافة والإذاعة والتلفزة وغيرها أن يجد معظمها مقصورًا على الموالين للدولة الناصرية الأولى ، وأعضاء التنظيم الطليعى الذى كان معنيًّا بحماية السلطة من خصومها عن طريق كتابة التقارير والتجسّس على المعارضين ، ولو كانوا من ذوى الأرحام !

وقد توقع الكاتب الراحل « محمد جلال كشك » - يرحمه الله - عودة الناصريّين ، وتأسيس الناصرية الثانية فى كتابة « الناصريون قادمون » ، وكان من نتائج هذه العودة ، دعم سياسة الحزب الواحد الذى يحصد أغلبية مقاعد مجلس الشعب ، والهيمنة على المؤسسات المختلفة ، وتقليص ما يسمى بالهامش الديمقراطى ، وإرهاب الخصوم من المعارضين للحزب الواحد الذى غير اسمه من الاتحاد الاشتراكى العربى إلى الحزب الوطنى الديمقراطى ، وتكريس الشمولية وسياسة أهل الثقة قبل أهل الخبرة ( تأمل مثلاً ما قام به وزير التعليم من إلغاء انتخابات عمداء الكليات ، وتغيير نظام الترقيات فى الجامعة لحساب

الأنصار ) ، وتخريب النظام الاقتصادى الحرّ الذى بدأ التوجه إليه فى عصر « السادات » ( تأمل مثلًا مذبحة شركات توظيف الأموال الناجحة ، وإذلال المواطنين ، وفرار اللصوص دون عقاب ! ) فضلًا عن بذل الجهود الحثيثة لاستئصال الإسلام من حياة الناس والمدارس والجامعات ، وركوب موجة الفتنة الطائفية باسم الوحدة الوطنية .. ثم تحويل أجهزة الدعاية لبعث العهد الناصرى الأول ومفرداته المختلفة .

ولم يكتف القوم بذلك ، بل تجاوزوا الحدود وافترضوا أن النظام القائم لم يعد صالحًا للاستمرار ، فأخذوا يبشرون بعبد الناصر جديدًا ، ويصوّرونه للشباب خاصة بأنه كان الأقدر على مواجهة الأعداء وتحقيق الأمانى للشعب ، وهو ما عجز عنه النظام القائم فى مفهومهم ( تأمل ما يكتبونه فى الصحف والمجلات التى يهيمنون عليها ويموّلها الشعب المظلوم ) !

ولا ريب أن العقلاء يرفضون عودة عبد الناصر مرة أخرى ، لأسباب بسيطة وسهلة للغاية منها : أن عودته تعنى عودة اليهود إلى ضفاف قناة السويس مرة أخرى ، وأن القدس والضفة والقطاع وجنوب لبنان والجولان لن تتحرر أبدًا ، وأن حرية « الهوهوة » المتاحة الآن لن تستمر ، وأن أهل الثقة ستكون لهم الكلمة الأولى والوحيدة ، وأن تأميم العقول والقلوب سيسبق تأميم المصانع والشركات ، وسيزدهر عصر الإنشاء والخطب الطويلة مرة أخرى ، فضلًا عن إرسال الجيش المصرى إلى بلاد بعيدة ليُحارب هناك ، بدلًا من مواجهة اليهود فى فلسطين .

كان « **أنور السادات** » مع كل سلبياته أول من شنّ حربًا حقيقية ومؤثرة ضد اليهود ، واثبت قدرة المصريين على العمل والأداء وإذاقة العدوّ من الكأس نفسها التى شربنا منها ، وكان أول من أتاح الفرصة « للهوهوة » وإنشاء الأحزاب التى لا تستطيع عقد اجتماع عام بدون إذن السلطة ورضاها ، ويحسب له أنه كشف « التنظيم الطليعى » وعناصره الإرهابية ، وأطلق سراح المعتقلين الذين حاكمهم الدجوى وأمثاله فى محاكمات ظالمة وصورية .

ولا شك أن المصريين تعبوا على مدى نصف قرن تقريبًا من القهر والإذلال والاستبداد ، ويبحثون عن أمل جديد يحقق لهم الحرية والأمان والعدل .. وهو ما لا يستطيع « عبد الناصر » الجديد أن يأتى به أبدًا ، لأن الناصرية غطاء مطاط يتغطى به الشموليون من مخلفات الناصرية الأولى ، واليساريون الذين انهارت نظريتهم ويبحثون عن دور يؤكد قدرتهم القمعية والتدميرية ، والمنافقون الذين يعيشون فى كل العصور ، وبعض الطيّبين الذين تدفعهم الشهامة إلى الوفاء للماضى أيًا كان ، مثل صهرى العزيز شفاه الله وعافاه .

لقد سرقت الناصرية حرية المصريين .. وأسرفت فى إذلالهم ، ولا أظنهم سيهتفون لها ثانية .. فمهلًا أيها المبشرون بعودة عبد الناصر جديدًا .. واسلمى يا مصر .

* * *

# مظاهرة البراويز السوداء!

جلال الموت يغلّ يد الكاتب ولسان المتكلم عن ذكر حقائق تتعلق بحياة الميت وسيرته فى الحياة .. وقد اقتضى العرف والأدب أن ينصرف الناس إلى الترحّم على من مات والدعاء له بالغفران ، ونسيان ما فعله ولو كان قاسيًا وبشعًا ومؤلمًا!

لكن ما فعله بعض أصحاب البراويز السوداء فى نعى الوزير الراحل « **زكى بدر** » يتجاوز رهبة الموت وعبرته ، ويطغى على العرف والأدب ، خاصة وأن هذه البراويز التى نشرت على مساحة ضخمة فى جريدة « الأهرام » وتكلّفت مبالغ طائلة ، تمثّل استفزازًا غير مقبول لجمهور الأمة ، وضحايا « **زكى بدر** » على وجه الخصوص .

فأن يوصف الرجل بأنه آخر الرجال المحترمين ، فهذا افتئات على الأمة ، والمحترمين الذين مازالو على قيد الحياة يخدمون وطنهم ودينهم بإخلاص ، ويتحملون فى سبيل القيم العليا والمثل الرفيعة كل عسف وشدّة ، ويحتسبون عند الله ما يلاقونه من عنت واضطهاد وإجحاف .. وعلى فرض أن « **زكى بدر** » من الرجال المحترمين فمن غير اللائق أن يحتكر وحده نهاية الاحترام!

وأن يوصف الرجل بأنه من أعز الرجال وأشجعهم ، فهذه مبالغة غير محمودة فى مجال توديع الرجل إلى مثواه الأخير ، وإفضائه إلى ما قدم حيث لا يُظلم أحدٌ مثقال ذرّة عند أحكم الحاكمين وأعدل العادلين ، وأن يوصف الرجل بأنه طراز فريد فى الشجاعة والحب لوطنه وأمته ، فهذه أيضًا مبالغة فى غير محلّها ، لأن الناس يبحثون عن الطراز الفريد الذى تكون شجاعته فى الحق ، وليس فى غيره ، وحب الوطن والأمة بإعزازهما وتكريمهما ، وليس بوسائل أخرى .

وتنطبق المبالغة على وصف الراحل بمثال الشهامة والرجولة ، وإعطاء كل حياته لتحقيق الأمن والأمان لمصر والمصريين ... إلخ .

لقد كنا نتمنى أن تكون تلك الصفات حقيقية ، وأن تنطبق على الراحل الذى أفضى إلى ما قدم ، ولكن مظاهرة البراويز السوداء فى صحيفة « الأهرام » ، تجعلنا - حرصًا على الحقيقة وذاكرة التاريخ ومستقبل الأجيال الجديدة - نقول لها بعيدًا عن السلوك الشخصى والأسلوب الحياتى للرجل : إن ما يقوله المتظاهرون لن يطمس الحقيقة ، ولن يعمّى على الدور الخطير الذى قام به فى إشعال نار الفتنة التى لم تنطفئ حتى يومنا بين قطاعات من الناس ورجال الأمن ، فتسبّب فى إسالة كثير من الدماء ، وفقدان كثير من الأرواح ، وازدياد عدد الأرامل واليتامى والسجناء بسبب سياسته الطائشة المجنونة ، غفر الله لنا وله .

لقد تولى المسئولية عقب تنحية رجل محترم ، حقيقةً لا مجازًا اسمه « أحمد رشدى » بسبب أحداث الأمن المركزى التى قيل : إن تجار المخدرات كانوا من ورائها ، فأعلن الراحل سياسة « الضرب فى المليان » ، وقام بالتصفية الجسدية لبعض الحركيين من الجماعات الإسلامية مما أشعل فتيل الانفجار بين هذه الجماعات والشرطة ، وشهدت السنوات الطوال منذ توليه حتى يومنا عمليات عنف ثأرية بشعة يأباها الضمير ويرفضها العقل وجرّمها القانون والدين والعرف والأخلاق .. ناهيك عما قيل عن تلفيق التهم والإعلان عن مؤامرات وهمية حكم القضاء ببراءة المتهمين فيها - لإثبات الولاء واليقظة والحرص على الأمن !

وتجاوز الأمر حدود الجماعات الإسلامية إلى الصحفيّين والكتاب والمعارضين ، وكان ما كان على سبيل المثال مع « مصطفى شردى » - رحمه الله - وما جرى من مطاردته ، وتحطيم سيارته ، وملاحقة أولاده ، ثم ما قيل عن تلفيق تهمة بشعة لمساعده سعيد عبد الخالق مع آخرين من حزب الوفد ، وسبّ المعارضين وعلماء الدين ، والاستهانة بكل القيم والأعراف

فى مجال التعامل السياسى والاجتماعى .. مما يعرفه الناس جيدًا .

وقد جاءت إقالته الداوية فى يوم جمعة ، بعد أن تصوّر أن بإمكانه مناطحة من لا يرحمونه ، فاهتزّت أرجاء مصر فرحًا .. بل اهتزّت أرجاء العالم العربى التى كان الناس فيها يتابعون ما يجرى على أرضنا من مضاعفات سياسة بوليسية خرقاء ، لا تعبّر عن احترام ذاتى ، ولا احترام غيرى ، ولا تمثل بطولة ولا شهامة ولا رجولة بحال من الأحوال .

إن رجل الأمن الحقيقى الجاد هو الذى يحارب الجريمة بجدّ وذكاء ، ويستطيع أن يمنع الجريمة قبل وقوعها ، ويمسك بتلابيب المجرمين الحقيقيين ، أما الذى يرقص على أشلاء الأبرياء ، وينال من الشرفاء ، ويشعل الفتيل دون سبب ، فأعتقد أن الناس لهم رأى واضح فيه !

ليس من حق أنصار « زكى بدر » أن يصفوه بأنه آخر الرجال المحترمين .. لأن السؤال الذى يطرح نفسه على الفور : وهل رجال الأمن الحاليون غير محترمين ؟

لا ريب أن من هؤلاء الرجال من يفوق « زكى بدر » احترامًا لنفسه ولأمته ، ويحظى بتقدير الناس لما يقوم به من جهد وما يبذله من تضحيات .

كنت أتمنى من مظاهرة البراويز السوداء أن تراعى جلال الموت ورهبته ، وتأخذ العبرة والعظة ، وتكتفى بالترحم على الفقيد والدعاء له بالمغفرة .. فنحن جميعًا فى حاجة إلى رحمة الخالق وغفرانه ، ولسنا فى حاجة إلى المباهاة والمفاخرة فى مناسبة وغير مناسبة ، وإنّا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

# عبد الحليم حافظ بطلاً قومياً ؟!

لو كان التلفزيون والإذاعة فى مصر ملكًا للقطاع الخاص ، كنا التمسنا لهما العذر فى كل ما يعرضانه ويذيعانه على الناس ، فالإنفاق من جيب أصحابه ، وكل شخص حرّ فى أمواله يصرفها بالطريقة التى تعجبه .. أما والتلفزيون والإذاعة فى مصر ملك للشعب والناس جميعًا ، فمن حق المجتمع أن يعترض على السلوك أو المنهج الذى يتخالف مع إرادته أو يتجاوز الحدود والأعراف المرسومة والمقررة فى عاداته وتقاليده وقيمه .

صحيح أن البعض لا يعترف بالمجتمع ولا يصغى إليه ، ولا يستجيب له ، ويتصور أن المال العام عزبة خاصّة يتصرف فيها كيف يشاء ، وربما كان ذلك راجعًا إلى التسيّب السائد ، والشمولية البغيضة التى تعبّر عن نفسها فى أكثر من قطاع .. ولكن هذا لا يمنع المجتمع من رفع صوته ونداء أولى الأمر لتدارك ما يفعله الذين ينسون أنفسهم ، ويضربون عرض الحائط بالتقاليد والقيم !

والمسألة أيها السادة أن الأيام الماضية شهدت ذكرى وفاة المطرب عبد الحليم حافظ العشرين ، فما كان من أجهزة الدعاية التى تشرف عليها الدولة إلا أن فرضت علينا طوال أسبوعين تقريبًا وفى كل أوقات البث والإرسال موضوع عبد الحليم حافظ فى مجال الأغنية ، ومجال السينما ، ومجال الموسيقى ، ومجال الأسرة ، ومجال الصحة ، ومجال الزواج السرّى ... إلخ ، ووضعت عبد الحليم حافظ فى صورة البطل القومى الذى لا تتم الوطنية والقومية والثورية إلا بمعرفة تاريخه منذ التقت به إحدى المذيعات فى الطريق وقدمته للجمهور حتى رحيله فى إحدى المدن الأوربية ذات يوم من شهر مارس قبل عشرين عامًا !

لا يعنينى عبد الحليم حافظ مطربًا أو غير مطرب ، ولا يعنينى انتماؤه لهذا النظام أو ذاك ، ولا يزعجنى أن تعلق صوره فى الشوارع وعلى الأرصفة ، بل على صدور الشباب من الجنسين ، الذى يزعجنى حقًا ، ويعنينى حقًّا هو تصويره فى صورة البطل الذى تفتقده الأمة ليخلّصها من هزائمها ومتاعبها .. وهذه الصورة تضرب عرض الحائط بالأبطال الحقيقيين الذين دفعوا حياتهم وراحتهم وأمنهم من أجل مصر وعقيدتها واستقلالها ، وماضيها وحاضرها ومستقبلها .. هؤلاء الأبطال تتجاهلهم أجهزة الدعاية التى تشرف عليها السلطة ولا تذكرهم ولا تشير إليهم من قريب أو بعيد .. وهو ما يعنى أن شبابنا يتم تضليله ، وتخريبه ، وتفريغه بيد الأجهزة التى تشرف عليها السلطة ، وهذه الأجهزة لا تدرك أنها تسىء بذلك إلى المسئولين أنفسهم قبل أن تسىء إلى مصر وأبطالها الحقيقيين ، فهناك من هؤلاء المسئولين أنفسهم من يتضاءل إلى جانبه مئات من عينة « عبد الحليم حافظ » وأشباهه ، ولا يساوون لحظة واحدة من اللحظات التى بذلها هذا المسئول أو ذاك فى سبيل الوطن والذود عن كرامته والبذل من أجل تقدمه .

أليس غريبًا أن تحلّ ذكرى وفاة العلامة الإمام « محمد الغزالى » فى الوقت الذى حلّت فيه ذكرى وفاة عبد الحليم حافظ العشرين ، فلا يلتفت إليه التلفزيون ولا الإذاعة فى جمهورية مصر العربية ؟

لقد حلت ذكرى شيخ الأزهر « جاد الحق على جاد الحق » ، والكاتب الحرّ « خالد محمد خالد » فى الوقت ذاته فما سمعنا صوتًا ولا حديثًا ولا تعليقًا من أجهزة الدعاية الحكومية .. فهل مثلهما لا يتساوى مع المطرب عبد الحليم حافظ ؟

لن أتحدث عن فجاجة الاحتفال بعبد الحليم حافظ ، ولا سخافة التعريف به وتقديمه للأجيال بوساطة مذيعات ومذيعين بينهم وبين الثقافة الحقيقية والفكر الناضج مسافات طويلة وشاسعة ، ولكنى أقول لهم : إن عبد الحليم حافظ وزمانه فى خانة غير مرغوبة بالمعايير الصحيحة للشعوب الحية الباحثة عن الحرية الحقيقية والأمل الحقيقى .

لقد كان عبد الحليم صوتًا للشمولية فى قسوتها وبشاعتها ضد شعبها وأمتها ، وكان لسانًا للقمع الذى أخضع الشعب لسطوته وقهره ، وكان رمزًا لزمن الهزائم والعار ، وعدّه العدوّ اليهودى جنرالًا يحارب به النظام معاركه الخاسرة دائمًا !

يكفى أن نُذَكِّر الجميع بأغنيته التى تتحدث عن صورة « الشعب الفرحان » .. أى فرح وعشرات الألوف فى السجون بلا ذنب ولا جريرة إلا مخالفة الفكر الثورى الطائش ؟ ثم صارت السجون للأبرياء وأصحاب الرأى المخالف سُنة غير حميدة من يومه حتى يومنا هذا .

ويكفى أن نذكِّر الجميع بأغنيته التى تدعو إلى الاشتراكية ، وتسخر من أعدائها ، ويقول فيها :

**ونطبل لك كده هو ونزمر لك كده هو**
**يا عدوّ الاشتراكية يا خاين المسئولية**

ويكفى أن نُذَكِّر الجميع بأغنيته التى حوّلت الشعب إلى قطيع يأتمر بأمر الطاغية « جماهير الشعب تدق الكعب .. تقول كلنا صاحيين » .

لا يستحق عبد الحليم حافظ كلّ هذه الزفّة فى أكثر من عشر محطات إذاعية وأكثر من عشر قنوات تلفزيونية ، فضلًا عن جرائد السلطة ومجلاتها.. وخاصة فى الوقت الذى تهوّد فيه أمريكا القدس ، ويغتصب اليهود بقية فلسطين والجولان وجنوب لبنان ، ويفرض الغرب وصنيعته على العرب والمسلمين الإرادة الاستعمارية المتوحشة والذل الاستعمارى المهين ؟!

ليت خلفاء « صلاح نصر » فى أجهزة الدعاية يخجلون بعض الشىء ، فعبدالحليم حافظ لن يحمّل عهدًا قبيحًا ذهب إلى غير رجعة وإن كانت ذيوله ما زالت حيّة ! واسلمى يا مصر .

* * *

# قلم لا يعرف الوضوء !

تبرز على السطح فى فترات الاضطراب والخلل ظواهر غريبة وعجيبة تشمل معظم الأنشطة الحياتية ؛ بدءًا من المعجم اللغوى حتى الأنماط السلوكية ، وكلها أعراض لمرضٍ واحد ، ولا يستطيع كاتب يحتفظ بتوازنه النفسى وتصوّره الصافى أن يتجاهل هذا المرض أو تلك الأعراض ، وخاصة فى المجال الثقافى والفكرى .

وإذا كان النفاق والتهليب والوصولية والنهب من المعالم الرئيسية لفترات الاضطراب والخلل ، فإن الكلمة الخبيثة تتسيّد هذه المعالم ، متسلّحة بكل ما فى المعجم اللغوى من مرادفات للصفاقة والتبجح والافتراء والكذب ، وخاصة إذا كان أصحابها يعانون من وضاعة الأصل ، ووضاعة السلوك فى آن .. إن الكلمة الخبيثة لا تعرف شيئًا عن الحياء أهم خصيصة تميّز المسلمين والمجتمع الإسلامى ، وتمثّل شعبة من أهم شُعب الإيمان .. إن لم تكن الإيمان كلّه .

وقد أفرزت العقود الماضية نفرًا من الكتّاب الخبثاء ، يمرحون ويرتعون ويصعدون على جثّة الكلمة الطيبة ، ولا يجدون غضاضة فى فعل الشىء ونقيضه ، ومدح الشخص ثم ذمّه ، أو العكس .. عاشوا باستمرار على حجر الحكومات المتعاقبة ، يكيلون لها المدائح غير العصماء فى وجودها ، حتى إذا ولّت وأدبرت سلقوها بألسنة حداد .. ومن المفارقات أن بعضهم يهجوها فى مكان ، ويمدحها فى مكان آخر فى وقت واحد .. أحدهم مثلًا يذمّ ثورة يوليو أو حكومة عبد الناصر فى إحدى الصحف ، ويشيد بها ويمدحها فى صحيفة اخرى (!) فى أسبوع واحد (!) .

إن الكاتب – وخاصة إذا كان ينتمى للمجال الأكاديمى – يحظى باحترام

الناس وتقديرهم عندما يُصدر عن اعتقاد حقيقى وإيمان راسخ بما يقول ، يستوى فى ذلك خصومه وأنصاره ، لأنه صاحب قضيّة ومبدأ ، أما ذلك المتلوّن الصفيق اللزج الذى تحرّكه مصالحه وأهدافه ، فيغرق فى النفاق والتملّق والوصولية دون أن يستشعر أدنى درجات الخجل والحياء ، فمكانته عند الناس معروفة ، إنها الدرك الأسفل من الاحتقار والهوان والهبوط إلى درجة « خادم » غير شريف فى زمن ردىء ! ولن تفلح الجهات التى تستخدمه فى تحسين صورته حتى لو أفسحت له مكانًا عريضًا فى صحفها وأجهزتها الدعائية المتنوّعة .

صاحب المبدأ – ولو خالفناه – رجل محترم ، أما صاحب المصلحة فقيمته تتحدد عند مستخدميه بمقدار ما يُلقى إليه من مكافآت أو مناصب أو امتيازات .

ومشكلة القلم الذى لا يعرف الوضوء أنه يظن تخرّصاته وأكاذيبه تمضى دون أن يعلم الناس حقيقته وطبيعته ، ولكن وطننا التعيس ، مع كل ما جرى له يدرك رائحة الكلمة الخبيثة ، ويميّزها جيدًا ، وخاصة حين ترتبط بلغة التحريض الرخيص ضد الشرفاء واستعداء أجهزة السلطة ، والدعوة إلى قطع الأرزاق ، والتعليق على المشانق !

القاسم المشترك لأرباب الكلمة الخبيثة هو هجومهم الشرس على الإسلام عقيدة ، وشريعة ، ومقاصد ، وغايات .. لا يتورّعون عن استخدام الأباطيل والأراجيف وليّ الحقائق ، واتهام الأبرياء من أجل إرضاء مستخدميهم فى الداخل والخارج ، ولا يجدون غضاضة فى الدعوة إلى التطبيع مع خصوم الأمّة ، والسير على خطاهم ، واتباع مناهجهم ، والتخلّى عن هويّتنا وعقيدتنا وتاريخنا .

لا ريب أن القلم الطاهر يرفض ذلك ، ولا يلجأ إلى الأساليب الرخيصة ضد خصومه فى الفكر والعقيدة ، ولكنه يطرح مفاهيمه وبراهينه فى الإطار العلمى الصحيح دون أن يهبط أو يسفّ .. على العكس من القلم الذى فقد العفّة ، ويستبيح الضرب تحت الحزام ، ولا يرعى خلقًا أو ضميرًا !

إن التناقض فى حبر القلم غير المتوضئ يصحبه دائمًا ادّعاء عريض بامتلاك ما لا يملكه الآخرون من علم ووعيٍ وثقافة .. ومن ثمّ ، يريد من الآخرين الكفّ عن التصدّى لأكاذيبه وأراجيفه ، بل يهدّدهم إذا فعلوا عن طريق التحريض واستعداء السلطة وأجهزتها ترهيبًا وتخويفًا .. ويبدو أن صاحب هذا القلم ينسى أن الشرفاء لا يخيفهم الترهيب ولا يغريهم الترغيب ، لأنهم أصحاب مبدأ وعقيدة ، ويؤمنون أن الله هو غايتهم ومنتهاهم .

تأبى أمتنا الضيم ، وترفض النفاق ، وتعرف الفارق بين كتّابها الأصلاء الشرفاء و كتّابها المزيّفين الوصوليّين ، وهى تملك من النوع الأول عددًا كبيرًا لا يخاف فى الله لومة لائم ، تحوطهم بحبّها ، وتغدق عليهم تعاطفها ، ولو عتّمت عليهم صحف وأجهزة دعاية تملكها السلطات وأجهزة الدولة .. وصدق الله إذا يقول : ﴿... **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ * تُؤْتِى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**﴾ [ إبراهيم : ٢٤ - ٢٦ ] .

يظن القلم غير المتوضئ أن الدنيا ستظل مبتسمة له ، وأن الشعب سيظل غافلًا عنه ، وأن ما يسوّده من صفحات سينساه الناس بعد حين .. ولكن من قال إن مسيلمة الكذّاب ضاع من ذاكرة الأمة ؟

وإذا كنّا نعترف أن « مسيلمة » - وخاصة إذا كان يكتب فى التاريخ - يشوّه وجدان الأمّة ، ويزيّف الحقائق ، ويهدر كثيرًا من القيم ، ويحقق مكاسب لا يمكن تجاهلها ؛ فإنه فى النهاية لن يفلت من لعنة التاريخ !

إن القلم المتوضئ هو روح الأمة وصوتها فى الدفاع عن عقيدتها وحريتها ومستقبلها .. أما القلم الذى لا يعرف الوضوء فهو السمّ الزعاف الذى يسعى لقتل الأمّة وإذلالها وسلبها شرفها وهويّتها ومستقبلها .. ولن يستطيع - بإذنه تعالى - مهما دعمّته قوى الشرّ .. واسلمى يا مصر .

## انتهازية اليسار .. وورقة النصارى ؟

مع مطلع كل يوم يتأكد الناس أن أهل اليسار فى بلادنا ، على اختلاف فصائلهم وتوجّهاتهم ، يسعون إلى استئصال الإسلام وثقافته ، والقضاء على الحرية وتجلياتها ، وخدمة الاستبداد ورموزه .. وبعد أن كانت أدبياتهم ، قبل سقوط الراعى الروسى ، تتحدث عن الكادحين من العمال والفلاحين ، والنضال من أجل سيادة الطبقة الدنيا ، فقد صارت أدبيّاتهم الآن لا تستهدف غير الإسلام وقيمه ، ولا تتورع عن استخدام الكذب والتضليل والنفاق ، لتثبت أن الإسلام ظلام وتخلّف ورجعية ، وما عداه استنارة وتقدم وانطلاق .. ولم يكن غريبًا أن يفضل أحد رموزهم بقاء الحكم العسكرى على قيام الحكم الإسلامى (!) بزعم أن الثانى يعتمد على رجال الدين (!) ويحرم الشعب من الحكم المدنى ؟

ولأن أكاذيب اليسار لا تنتهى ولا تتوقف ، فقد استغلوا مؤخرًا ما أثير حول « الجزية » وخدمة غير المسلمين فى الجيوش الإسلامية ، ليشعلوا حربًا نجسة ضد الإسلام وتشريعاته ، دون أن يراعوا أدنى حدّ للجدل العلمى والنقاش الفكرى ، وتصايحوا ليسمع سادتهم الجدد ( الرأسماليون ) فى أوربة وأمريكا ودولة اليهود فى فلسطين عن نضالهم التقدمى ضد الرجعية الإسلامية التى تريد فرض الجزية على النصارى ، وحرمان أبنائهم من الخدمة فى القوات المسلحة ، كان الصياح عامًا وشاملًا فى الصحف والدوريات « القومية » التى صارت ملكية « خاصة » لهم ، ولأتباعهم والمسايرين لهم ، وصار الإسلام بألسنتهم وأقلامهم متهمًا يجب استئصاله ، واستئصال المسلمين ودعاتهم إن أمكن !

العبقرية اليسارية لم تُصْغ للتوضيحات والشروح التى تؤكد أن الإسلام ليس مجرمًا ، وأن المسلمين ليسوا مجرمين ، بل راحت تستثير العالم ليساندها ويدعمها حتى تقضى على الدين الإرهابى وأهله الأرهابيين (١) وراح من تربّوا تحت أقدام الطغاة ، وصعدوا إلى المناصب العليا بتقاريرهم السرّية فى « التنظيم الطليعى » ؛ يدبجّون مقالاتهم « المتحضّرة » عن المسلمين « الأجلاف » الذين يريدون إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، ويظلمون إخوة الوطن الأقباط ، ويهدّدون الوحدة الوطنيّة الأزلية ، ويظاهرون الإرهاب وعصاباته التى تذبح وتقتل وتروع الآمنين !

القاصى أو الدانى يعلم أن حكاية « الجزية » مسألة لا يفكر فيها أحد ، وأنها أصلًا من اختراع غير المسلمين ، وأنها فى زمن تطبيقها كانت تمثّل نسبة أقل من نسبة الزكاة والصدقات التى يدفعها المسلمون فريضة وتطوّعًا ، وأنها كانت تفرض نظير خدمات أو دفاع عن غير المسلمين .. ثم إنها منذ زمن بعيد جدًا ، لم يعدْ لها وجود فى حياة المسلمين داخل مصر أو على امتداد العالم الإسلامى ، بعد أن دخل غير المسلمين إلى صفوف الجيوش الإسلامية .. فلماذا تفجير مسألة الجزية الآن ؟ هل يستطيع أهل اليسار أن يقدموا لنا إجابة صادقة وحقيقية ، بعيدًا عن الكذب والتضليل ؟

ثم إن أمر الجزية فى زماننا لم يعد متعلقًا بغير المسلمين ، ولكنه متعلّق بالمسلمين وحدهم بصورة حديثة ، فهم الذين يدفعونها « عن يدٍ وهم صاغرون » إذا بدا لهم أن يحرّروا أوطانهم من الاستعمار اليهودى أو الاستعمار الصربى أو الاستعمار الهندى أو الاستعمار البعثى مثلًا ! فالمسلمون فى فلسطين والبوسنة وكشمير والخليج يدفعون أنواعًا متعدّدة من الجزية تبدأ من الحصار والإذلال والمقاطعة ونزع السلاح إلى نهب الثروات ودفع الدولارات بالمليارات .. ولكن الأشاوس والنشامى من أهل اليسار لم يعلموا بعد بما يدفعه المسلمون ، ولم يكتبوا كلمة واحدة عن المسلمين المقهورين فى بلادهم ؟ واسألهم : كم مقالة كتبوها عن أهل البوسنة مثلًا ؟ كم موضوعًا

دبجّوه عن الحرب الصليبية التى يشنها الصرب والكروات ضد المسلمين فى البلقان ؟

أما أمر القوات المسلحة ، ومنع غير المسلمين من الالتحاق ، فهو يدعو إلى الضحك فى زمن البكاء ، ذلك أن الذى يمنع من الالتحاق بالجيش والشرطة والكليات العسكرية والأمنية ، ويُحرّم عليه العمل فى القضاء والنيابة والجامعات والتعليم العام وأجهزة الدعاية من إذاعة وتلفزة وصحافة « قومية » ، ويطرد من الأندية الرياضية والنقابات الفئوية هو المسلم الذى يفاخر بإسلامه ويُعلن عنه ويتمسك به عقيدة وشريعة ، بل إن أقاربه إلى أبعد الدرجات ممنوعون بسببه من الخطو إلى تلك المؤسسات والهيئات .. وكنا نتمنى أن يقوم المناضلون اليساريون بالدفاع عن المسلم المتدين الذى يسمونه متطرفًا أو إرهابيًا ، وحقه فى الدخول إلى كل هذه المؤسسات وعلى رأسها الجيش والكليات العسكرية .. ولكنهم لم ولن يفعلوا لسبب بسيط وهو أن المسلم عند سادتهم لا حقوق له .. وأن الحقوق لغير المسلم وحده ، حتى لو كان أقلية ضئيلة تجعله مواطنًا من الدرجة الأولى ، والمسلمين من الدرجة العاشرة !!

لا ريب أن أهل اليسار يجيدون لعبتهم غير النظيفة ، لأنهم يعلمون أن « ورقة النصارى » فى هذا الزمان رابحة ، وأن ماعداها محترق .. وهم دائمًا فى الجانب المنتصر ، فهذه طبيعة الانتهازيين فى كل زمان ومكان .

وليت السادة الفضلاء من المتحدثين باسم الجمعيات أو الهيئات الإسلامية ، أن يتنبهوا إلى الكمائن اليسارية ، وغير اليسارية ، فلا يعطوا أحدًا فرصة الرقص على أشلاء الإسلام الجريح ، وفى بعض الحالات يكون الصمت من ذهب .. لأن الكلام فى عصر أهل اليسار وأيام نشوتهم محفوف بالمخاطر والمزالق ، حتى لو كانت نوايا المتحدثين أصفى من ماء البحر .. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

* * *

## هجائية وقحة !

عرض التلفزيون مؤخرًا فيلم « **الإرهابى** » بطولة **عادل إمام** ، الذى يحظى بإقبال شعبى كبير على مشاهدة أفلامه ومسرحياته ، وكان المتوقع أن يعالج الفيلم قضية « الإرهاب » بوعى وعمق يكشفان الأسباب والدوافع ويقدمان المقترحات والحلول .. فهل نجح الفيلم فى تحقيق ذلك ؟

قدّم الفيلم مجموعة من دعاة العنف يلبسون الجلاليب ويطيلون اللحى وتكسو وجوههم الجهامة والقتامة ، ويستحلّون أموال الناس بغير حق ، ويسطون على محلات الذهب والفيديو ، ويعانون من شبق جنسى طافح ، فضلًا عن قيامهم باغتيال رجال الأمن والكُتاب .. ومن يخرج على تعاليمهم يُهدر دمه .

هذه المجموعة جاهزة ثقافيًا وفكريًا .. لا ندرى كيف تشكّلت ثقافيًا ، ولا نعلم كيف تكوّنت فكريًا .. كل ما نعلمه وندركه أنها تتحرك وفق مخططات خارجية وتتدفق عليها الأموال الأجنبية ؛ لتنفيذ مخططاتها .. فهل يمكن أن يتم ذلك من الباب للطاق مباشرة ؟ أم إن هناك أسبابًا أخرى تؤدى إلى الفهم الخاطئ للدين تصوّرًا وسلوكًا ؟ لم يشر الفيلم إلى ذلك بتاتًا ، واكتفى بمنشور أو مانيفيستو يهجو الإرهاب على الطريقة الشيوعية !

فى مقابل هذه المجموعة التى صارت واقعيًا تمثّل « الإسلام » (!) قدم الفيلم أسرة منحلّة تمارس الحياة على النموذج الغربى دون اهتمام بقواعد الإسلام وقيمه - كما يفترض - لتكون بديلًا مقبولًا للمجموعة الإرهابية الإسلامية .. فالأب يمارس مهنة الطب من خلال الجراحة ، ويقوم ببناء مستشفى خيرى من ماله الخاص ، ولكنه لا يتدخل فى تربية أبنائه .. والأم

سلبية بالنسبة لأبنائها أيضًا ، وتبدو أقرب إلى الإيمان بالخرافة مع مظهرها « المودرن » .. أما الابن فهو شيوعى يعلق صور لينين وجيفارا وآخرين فى غرفته ، ويدخن ويشرب ويرقص .. أما البنتان فإحداهما طالبة فى الجامعة الأمريكية ، وتعمل فى مجال الإعلان التلفزيونى ، وتمارس حياتها ( على راحتها ) ، والثانية موظفة حالمة ( مودرن أيضًا ) ، والأسرة تقدم الخمر وتبيح الرقص المختلط فى الحفلات المنزلية .. هذه الأسرة « المودرن » التى تبدو بعيدة عن الإسلام تمامًا وتحلّ الخمر والرقص والانحلال هى البديل الذى قدّمه فيلم « الإرهابى » للإسلام !

يضاف إلى هذه الأسرة المسلمة أسرة نصرانية من الجيران ( أراد الفيلم أن يعبّر بها عن الوحدة الوطنية ! ) الزوج يبدو مرنًا ، أما الزوجة فتبدو متطرفة ! ( بلغة الفيلم ) لأنها ترفض الرقص المختلط ، وترى فى عمل زوجها بمصنع للخمور مخالفة لوصايا المسيح عليه السلام ! كما تستنكر الهوس الكروى الشائع بين الجمهور .

أدى عادل إمام دور الإرهابى الذى يسمع ويطيع لقائد المجموعة ، ولكنه يتحوّل فكريًا عندما تصدمه سيارة الفتاة الموظفة الحالمة ، فتنكسر ساقه ، وينقل إلى بيت أسرتها ، وتنمو الأحداث دراميًا لنكتشف طبيعة الإرهابى الداخلية التى تعشق الحياة وترفض العنف والدم .

كان الفيلم فرصة مناسبة لإبراز جوهر الإسلام الذى يدعو إلى الحرية - تلك الكلمة الملعونة على رأى نجيب محفوظ - والعدل والمساواة والطهارة والشورى والأمل والرحمة .. ولكن الفيلم تحت تأثير مسبق ، وتصور يسارى ؛ تحوّل إلى هجائية وقحة للإسلام والمسلمين ، ذلك أن صوّر المجموعة الإرهابية تصويرًا كاريكاتوريًا غير مقنع فنيًا ، وأجرى على ألسنة الأسرة ( البديل ) منشورات طويلة عريضة تهجوها وتسبّها ، وتشير فى عبارات مستهلكة ( الدين يسر - ما يفعله الإرهابيون لا يرضى الله ولا الرسول ... إلخ ) ، وفى الوقت ذاته يقدم صورة راقية ومتحضرة للطائفى الذى يعالج الإرهابى

ويحيميه من ملاحقة الشرطة ! ليقول بصورة لا تقبل التأويل إن الإسلام دم ، أما غيره فحضارة ورقىّ !

وعندما أراد أن يعالج التطرف الطائفى ، فقد حبّبنا فيه ، لأنه تعصّب مقبول ويؤيده المسلمون قبل غيرهم ، لأن مراقصة الرجال للنساء ، والعمل فى مجال الخمور ، والهوس الكروى – وهى المسائل التى ترفضها الزوجة النصرانية – مسائل مكروهة ، بل ومحرّمة مثل الرقص المختلط ( لا يوجد فى أعضاء الحكومة المصرية حسب علمى من يقبل أن يراقص أحد زوجته أو يقبل هو أن يراقص زوجة آخر ، ولكن الفيلم أصرّ على تطبيع العلاقات المستنيرة فى هذا المجال ! ) .

النقطة الأخطر أن معالجة التطرف الطائفى وقفت عند حدود هامشية لا تعد تطرفًا فى الحقيقة ، فالتطرف الحقيقى – من وجهة نظرى – يحتاج إلى شجاعة تفوق قدرة المؤلف والممثل معًا .. بل تفوق قدرة الحكومة ذاتها ، لأن هذا المتطرف مدعوم دوليًا من الدول العظمى وعلى رأسها أمريكا وفرنسا والفاتيكان ، وتجلياته واضحة فى تكوين الجماعات المسلحة ، والدعوة إلى نبذ الإسلام واستئصاله – علنًا وبأموال المسلمين – تحت رداء الدعوة إلى علمنة الدولة ، والتهافت على إقامة الكنائس الكبرى ، وتحويل الغرف إلى كنائس ، والمطالبة بامتيازات سياسية واجتماعية تفوق الوضع الطائفى ، والإلحاح على اقتباس النموذج الغربى فكرًا وممارسة باسم الحداثة !

أما رجال الأمن ، فقد صورهم الفيلم على طريقة أفلام إسماعيل يس ( يا بوليس ) ، آخر من يعلم ، أو ( ريش على ما فيش ) ، لأننا فيما نعلم نظن أن أجهزة الأمن تملك قدرات ضخمة ، وتستطيع المتابعة الدقيقة على أكثر من مستوى للعمليات التى تقترفها الجماعات وغير الجماعات !

ويبدو أن « **عادل إمام** » أدى دوره فى هذا الفيلم مرغمًا ، فقد بدا عجوزًا فى ضعف سنّه ( أفراد الجماعات عادة شباب متوسط أعمارهم فى

العشرين ) ، كما بدا منهكًا مكدودًا ، وغابت عنه التلقائية التى اشتهر بها ، فضلًا عن افتقاره روح المرح والحضور الفنى ، لو أنه مثلًا قام بدور لواء شرطة أو رب أسرة فى الفيلم لكان أليق به .. ولكنه أدى دورًا ضعيفًا فى فيلم ملىء بالفجوات والفجاجة والخطابة .

وحبذا لو أفرج التليفزيون عن فيلم « الكرنك » فهو من أنجع الأفلام التى تشير إلى جذور الإرهاب ، وتسعى إلى استئصالها ، فيقدم بذلك خدمة للأمة وللأمن ، ويحقق حرية الفكر والإبداع برفع الحظر عن عمل مهم من أعمال « **نجيب محفوظ** » .. إذ لا يجوز فى عصر « التنوير » الجديد أن يصادر « المستنيرون » الجدد عملًا أدبيًا راقيًا لكاتب عالمى مثل « نجيب محفوظ » ! أليس كذلك ؟

* * *

# طيور الظلام .. وسينما الدعاية !

تمنيت أن يقوم التلفزيون برفع الحظر الذى فرضه منذ سنوات على الأديب الكبير « **نجيب محفوظ** » ، ويذيع فيلمه « **الكرنك** » على الأقل ، عملاً بحرية الإبداع التى ينادى بها السادة المستنيرون صباح مساء ، ويجأرون بها كلما اعترض أحد على منشور جنسى أو إلحادى تحت لافتة قصيدة أو قصة أو رواية ، ولكن يبدو أن قداسة **عبد الناصر** فى التلفزيون المصرى أقوى من قداسة الذات الإلهية ، وأكبر من القيم الاجتماعية والخلقية ، ومن ثم يبدو إصرار التلفزيون ووزيره على مصادرة « **نجيب محفوظ** » أمرًا فوق التمنّى والرجاء ، خاصة وأن الوزير قد أقدم على تجميل الناصرية الأولى بإنتاج فيلم « ناصر ٥٦ » ، وقام مساء يوم العيد بإتحاف الجماهير المصرية فى طول البلاد وعرضها بإذاعة فيلم « **طيور الظلام** » ، الذى يعقد لواء الشرف والبطولة للناصريّين وحدهم دون خلق الله .

نتمنى أن يكون الناصريّون جميعًا شرفاء وأبطالًا ، ويحققوا للأمة ما يعجز عنه الآخرون ، بل ما عجز عنه الجيل الأول من آباء الناصرية ، وقصّروا فيه ، ونتمنى أن يحملوا المشاعر ذاتها لبقية القوى السياسية والاجتماعية ، انطلاقًا من فرضية تقول بوطنيّة هذه القوى وإخلاصها للوطن حتى لو اشتط بها الفكر وجمح بها الهوى !

أما أن يصرّ فيلم « طيور الظلام » على قصر الشرف والمقاومة فى الإطار الناصرى وحده ، فهذا ظلم كبير للأغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف توجهاتهم وآرائهم ، وأحزابهم وقواهم السياسية المتنوّعة .

لقد قصر الفيلم صراع الواقع السياسى على ثلاث قوى فقط : الناصريين ،

والإخوان ، والحكومة أو حزب الحكومة تحديدًا ، وأدار الصراع لصالح الناصريّين الذين مثّلهم موظّف يؤمن بالشعارات ويتأبىّ على قبول الرشوة ، ويستعصى على العمل لحساب مرشح الحكومة ، وكان نصيبه فى النهاية أن يفوز بوظيفة ممتازة فى أحد البنوك الاستثمارية مرتبها خمسة آلاف جنيه شهريًّا !

ممثّل الإخوان فى الفيلم كذّاب ومتآمر ويموّل الإرهاب وقتل رجال الشرطة ، يساعده فى ذلك أصحاب شركات الصرافة وآخرون ، ولأول مرّة فى تاريخ الهجاء السياسى أسمع فى الفيلم أن الإخوان يغدقون شققًا فاخرة على المحامين الذين ينضمون إليهم ، وإن كانت « روز اليوسف » قد نشرت مؤخرًا أن مخرج الفيلم اشترى فى المهندسين شقة ثمنها مليون جنيه ( العدد ٣٥٨٣ ، بتاريخ ١٩٩٧/٢/١٠ ، ص ٢٩ ، ع ٢ ) !

أما ممثل الحكومة فهو المحامى « فتحى قنديل » الذى يصل بذكائه من مجرد محام مغمور فى الأرياف إلى سكرتير للوزير ، تساعده عاهرة تعمل لصالحه فى مشروعات تجارية تدّر عليه دخلًا خرافيًا عن طريق التحكمّ فى الأسعار واستيراد السلع وأشياء أخرى .

ينتهى الصراع بدخول ممثل الإخوان ، وممثل الحكومة إلى السجن ، مع ثقة كل منهما بالخروج سريعًا ، والاستمرار فى اللعب على حساب الشعب وأمواله ومقدراته !

اختزال الواقع السياسى فى هذا الإطار يؤكد على خواء الشعب المصرى واقتراب نهايته لأن الرمز الناصرى فى الفيلم يبدو أيضًا هشًّا وغير مؤهل للقيادة وتحقيق الحلم الذى يعيشه المصريون .

إن خلوّ الفيلم من نموذج واحد غير الناصريين يرمز للطهارة وعدم الانفصام بين القول والفعل ، يقدم صورة قبيحة للمصريين ، ويسىء إلى الملايين من أفراد الوطن التعيس الذين يؤمنون بأن « الحلال يكسب » مهما ادلهمت الظلمات وضاقت حبال الفقر حول أعناقهم ، ويتأكدون مع مطلع كل يوم أن الحرية –

القيمة الأولى فى الإسلام – هى طريقهم الحقيقى للبناء والتعمير والإبداع وإصلاح ما أفسدته الناصرية الأولى ، وما تفسده الناصرية الثانية من خلال كوادرها المبثوثة فى مختلف المرافق والمصالح والهيئات والمؤسسات وخاصة أولئك الذين تربوا فى التنظيم الطليعى وبرعوا فى كتابة التقارير والوشايات .

وخلوّ الفيلم من نموذج واحد غير الناصريين يرمز للطهارة وعدم الانفصام بين القول والفعل ، يحوّل العمل السينمائى إلى دعاية فجّة ورخيصة تهبط عن المستوى الفنى المفترض فى فيلم يكتبه مؤلف متمرس ، وممثل مشهور ، ومخرج موهوب .

إن المطلوب من الفن الواقعى أن يقول لنا : لماذا يحدث ما نراه على أرض الساحة الاجتماعية بطريقة مقنعة فنيًا ، ويبيِّن لنا الأسباب التى أدت إلى الخلل والانهيار والتردى ، ويجتهد فى تفسير السلوك المنحرف ، خاصة وأن الذين يصنعون الأفلام يضعون فى حسبانهم أنهم يعالجون قضية وينبهون إلى خطر ، ويسعون إلى التئام الجراح ! أما أن يتحوّل العمل الفنى إلى هجائية رخيصة لهذا الطرف أو ذاك فهذا إعلان دعائى مرفوض .

المفارقة أن الفيلم حبّبنا فى ممثّل الحكومة وأدهشنا بذكائه « وشطارته » وجعلنا نتعاطف مع « العاهرة » التى لقيت جزاء سنمار ، فى الوقت الذى حاول فيه أن يجعلنا نكره الإسلام وكل ما يمت إليه بصلة حتى اللغة العربية الفصحى صارت ثقيلة وسمجة و« متحفية » ومنكرًا تجب إزالته !

إذا كانت إذاعة هذا الفيلم فى هذا الوقت تبدو ترضية مناسبة لمؤلف الفيلم الذى لم ينجح فى إذاعة أى مسلسل له خلال شهر رمضان مما اضطره للعصف بالليث الهصور فى القضية الشهيرة ، فقد كان من الأولى أن يطالب بإذاعة فيلم آخر له ، يبتعد عن الدعاية الفجّة ، والهجاء الرخيص ، ليحتفظ الفن السينمائى بقيمته ، وليحتفظ المصريون بكرامتهم .. فهناك بلا شك عشرات الملايين من الشعب الصابر يعيشون بشرف ، ويواجهون الحياة بنبل نادر لا مثيل له .. واسلمى يا مصر .

## المثقّف العبد .. وتراث العبيد !

ظم كبير للمماليك أن نشبه بهم عبيد هذا الزمان ، فهؤلاء نوعية فريدة غير مسبوقة فى التاريخ ، لا أخلاق ، ولا قيم ، ولا أصول ، ولا نخوة ولا شهامة ولا فضيلة من أى نوع ، اللهم إلا فضيلة قهر المجتمع والسخرية منه والزراية به من خلال أفعالهم المشينة وسلوكياتهم الفاجرة .. إذا صحّ أن يسمّى ذلك فضيلة ..

أما مماليك الزمان الماضى ، فقد كان لديهم مع كل مساوئهم وسلبياتهم بعض الفضائل الحميدة التى لا ينكرها إلا جاحد ، فقد تحرّكت بهم النخوة والشهامة لمواجهة قوات الاجتياح التترى ، وحققوا نصرًا عظيمًا فى **عين جالوت** ، وذادوا عن حياض الإسلام فى أكثر من مكان على أرض مصر وخارجها ، وتركوا من الآثار الغنيّة : مساجد ، ومدارس ، ومستشفيات ما يزكى أحد الجوانب لديهم ، ولعله يغفر لهم بعض ما اقترفوه من آثام وخطايا !

بيد أن عبيد هذا الزمان فى صنعهم للطغاة ، وتصفيقهم لهم ، ثم الشكوى منهم (!!) لن يتركوا خلفهم إلّا كل ما هو قبيح ودميم ، وللأسف فإن مؤلف « تراث العبيد » لم يتنبه إلى فريق من هؤلاء العبيد أشدّ خطورة ممن يقتسمون مع الآخرين ممتلكاتهم وثرواتهم حتى لو كانت سيارة صغيرة معروضة للبيع !! هذا الفريق هو ما يسمى بالمثقفين ، فهؤلاء فى نظرى أسّ البلاء وأساس الشقاء لشعبنا المستباح ، ذلك أن المثقف العبد هو أخطر من اللصوص الصرحاء أو المقنعين ، لأنه يحلّل الحرام ، ويحرّم الحلال بكلماته النجسة وحروفه التى لا تعرف الوضوء ..

المثقف العبد يلعب لعبته مع كل الحكام والطغاة ، فيزين لهم سوء أعمالهم حسنًا ، ويركل بكلماته كل القيم المضيئة والمتوضئة ، ولا يعبأ بتاريخ أو جغرافيا أو دين أو عقيدة .. لأن كل همه أن يرضى سيّده ومولاه الذى يلقى إليه بالفتات ، فيبصبص بذنبه مثل الكلب شاكرًا لسيّده ، حامدًا لمولاه ما ألقاه إليه .. ومن ثمّ فإن كلماته تصب فى الجهة التى يريدها السيد المولى ، ولا معنى هنا لكلمات مثل العدل والظلم ، أو الحرية والعبودية ، أو الاستقامة والانحراف ، أو الشرف والوضاعة ، أو الحق والباطل ، أو الوطنية والخيانة ، او الجهاد والاستسلام ، أو ... إلخ ، فمعنى الكلمات أمام المصلحة الشخصية للعبد المثقف ترف لا يستحق الالتفات إليه أو السعى من أجله .

نماذج المثقف العبد كثيرة ، يصعب حصرها ، تطالعها على صفحات الجرائد والمجلات ، وفى أجهزة الدعاية من إذاعة وتلفزة ومسرح وسينما ، وفى المؤسسات والهيئات والجامعات والوزارات ، وفى أماكن عديدة .. لا تستطيع أن تحصى هؤلاء العبيد ، الذين تكمن خطورتهم فى أن فريقًا كبيرًا من البسطاء والمحايدين ، يصدّقهم ويقع فى فخاخهم ، فيتغير الحق إلى باطل والباطل إلى حق ، وهم بذلك على خط اتصال واضح مع من خاطبهم القرآن الكريم بقوله ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

[ البقرة : ٤٢ ]

إلباس الحق بالباطل هو شريعة المثقّفين العبيد ، وهى مهنة خطيرة تحقق للأعداء ما لا تحققه الجيوش العسكرية الجرارة ، لأنها تقلب التصوّر فى الرءوس ، وتهدم الحقائق فى العقول ، وتغير العقائد فى القلوب .. ولم يكن عجبًا أن تتبنى قوى الشرّ العالمية ، صليبية ويهودية ، كثيرًا من المثقفين العبيد ، وتنفق عليهم ، وتكافئهم بالجوائز والامتيازات ، بل تمنحهم أحيانًا حق اللجوء السياسى ، وتدافع عنهم ضد حكوماتهم وشعوبهم تحت مسمى « حرية الفكر » المظلومة !

المثقف العبد لا يتورع عن مهاجمة دين الأمة وعقيدتها ، ويترك القضايا المهمّة والرئيسة ليشغل الناس بقضايا فرعية هامشية يختلفون حولها .. ويحولها - يا للعار - إلى هدف استراتيجى له ، حيث يتباكى على ما أصاب الشعب والأمة من جرائها !

فى افتتاحية مجلة عريضة كتب مثقفها العبد يشيد بالقمع الذى تبديه بعض الأجهزة فى مكافحة الظلام ( أى الإسلام ) ويحرّض على المثقفين الشرفاء الذين يرفضون القمع والقهر ، ويقدم بلاغًا إلى أجهزة الأمن لتقتلعهم من مجالات القضاء والتعليم والطب والمحاماه وغيرها ، لأنهم نصف الإرهاب ، ويشكلون حكومة ظل لقلب نظام المجتمع ، ويصور الدعوة إلى اليقظة الإسلامية بأنها عودة إلى الوراء تسيطر على حياتنا وتدمر مكتسباتنا ، ويستمر المثقف العبد فى نواحه على ( المجتمع المدنى ) الذى تهدده جحافل الظلاميين ( أى الإسلاميين ) ، ويرجو الحكومة أن تقف وقفة صدق لتتخذ موقفًا حاسمًا من هؤلاء الخفافيش الذين يحلقون فى ردهات القضاء والمحاكم ( هل نعيش فى مجتمع مدنى حقًا ؟ أم مجتمع عسكرى تحكمه الطوارئ منذ نصف قرن ؟ ) .

وهذا الكلام الرخيص فى تحريضاته الأرخص لا يستحق أن نقف أمامه ، لأنه تكرر كثيرًا من العبد المثقف وأمثاله ، ولكنه يحمل فى طيّاته علامة خطيرة على مدى ما وصلت إليه عبودية بعض المثقفين فى تزوير الواقع ونفاق السلطات وتسويغ القمع والتحريض على الشرفاء ، وإشعال الفتنة ، كى يعيش العبيد مترفين ، ويزدهروا على حساب المقهورين .

إن المثقف العبد حين يتغافل عن الاستبداد والطوارئ وألوف المعتقلين من سجناء الرأى ، ومحاصرة الإسلام ومحاولة اقتلاعه وغياب الحرية والديمقراطية الحقيقية ، ثم يتناسى شيوع البلطجة السياسية والاجتماعية وتزوير الانتخابات وهيمنة حزب الطبقة الحاكمة على السلطة والثروة ، وتكريس التبعية للعالم الصليبى ، والخضوع للإرادة اليهودية ونهب الآثار

وتخريب التعليم ، وتسطيح الثقافة ، وزيف الدعاية .. وغيرها من القضايا والمشكلات التى تأخذ بتلابيب المجتمع المقهور .. يرتكب جريمة لا نستطيع توصيفها قانونيًا .. لأنها عدّة جرائم مترابطة ومتداخلة ، وللأسف فإنه لا توجد عقوبة يمكن إنزالها بهؤلاء العبيد ، لأن العقوبة الوحيدة الممكنة هى وخز الضمير .. وهؤلاء ماتت ضمائرهم منذ زمان بعيد .

إن المثقف العبد حين تشغله قضية هامشيّة مثل ختان البنات ، أو حجاب النساء ، أو عودة المرأة إلى البيت ، ويتغافل عن قضايا خطيرة مثل : قصور العلاج الحكومى فى المستشفيات ، وارتفاع أسعار الدواء ، وتلوث النيل ، واستيراد اللحوم الفاسدة ، والفراخ المسمومة ، وتفشى اللصوصية على مستويات عديدة ، واستغلال النفوذ ، والإنفاق السفيه من جانب الحكومة أو الطبقة المتوحشة التى كسبت بلا جهد أو أنفقت بلا حساب ، وتعويق الجهود القومية فى الاكتفاء الذاتى من محصول القمح والإنتاج الزراعى الأساسى ، والإنتاج الصناعى الأولى .. إن هذا يعنى أيضًا جرائم مركبة تحتاج إلى رادع غير موجود لدى المجرمين .. وهو الضمير ..

المثقف العبد أخطر من اللصوص الكبار وأصحاب النفوذ ، لأنه يستخدم بوصلة الفساد وفق ما يريد المفسدون الفاسدون ، لذا أتمنى أن يعتنى ( ع . ع ) فى الجزء الثانى والجزء الثالث من كتابه « تراث العبيد » بالمثقف العبد وتجلياته فى نصف القرن الأخير ، لأنه كما قلت أسّ البلاء وأساس الشقاء .. وقد تغيرت صورته عن ذى قبل .. كان فى الماضى يمثل حالة محدودة إلى درجة ما ، تكتفى بدور ما ، ولكنها فى زماننا صارت شائعة ومنتشرة ومتنوعة ، وتلبس لكل حالة لبوسها سواء فى الزمان أو المكان .. ففى الأزمنة الثورية ثورى ، والاشتراكية اشتراكى ، والانفتاحية انفتاحى .. وهكذا ، وفى مكان مثل وادى النيل جمهورى ، وفى الخليج خليجى ، وفى الجماهيرية فيلسوف للكتاب الأخضر وهكذا .

ولو أنك تتبعت مثلًا المثقف العبد الذى حرّض على قومه الشرفاء ،

ورأيته وهو فى الخليج يجمع الدراهم والدنانير لوجدته مؤمنًا بالحجاب والنقاب وإسدال الغطاء الأسود على الوجه ، ولا يسمح لأحد أن ينتقد الحجاب ، أو الفصل بين الرجال والنساء .. بل إنه لا يتورع عن الدعوة إلى أن تكون المرأة مثل الغراب الأسود الأسحم لا تخرج من الدار إلا إلى القبر!

إياك أن تستغرب أفاعيل المثقفين العبيد ، وخروجهم على مألوف الطبيعة البشرية التى تدعو إلى الوئام والتآلف والمودة ، فتحريضهم على الشرفاء شذوذ يتسق مع طبائعهم اللئيمة وسجاياهم الكريهة .. وقل لى بالله : ما الذى يجعل مثقفًا فى القرن العشرين يرفض دعوة من إحدى فصائل الصراع الدامى مع الحكومة المصرية بوقف العنف ؟ ثم يسخر من الدعوة وأصحابها ويدعو إلى المزيد من إهدار الدماء ، ويصب الماء على الزيت ؟ أليس الوطن الآمن الهادئ المتناغم الممتلئ بالمودة والرحمة أفضل من أنهار الدم والكراهية والأحزان ؟

يا ويل العبيد من الأحرار على صفحات التاريخ ومستقبل الزمان .. واسلمى يا مصر .

* * *

## كتب للمؤلف

### أولًا : إسلاميات :

- مسلمون لا نخجل .
- حراس العقيدة .
- الحرب الصليبية العاشرة .
- العودة إلى الينابيع .
- الصلح الأسود .. رؤية إسلامية لمبادرة السادات والطريق إلى القدس .
- ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .
- هتلر الشرق .
- جاهلية صدام وزلزال الخليج .
- أهل الفن وتجارة الغرائز .
- النظام العسكرى فى الجزائر .
- .. واسلمى يا مصر .
- حفنة سطور .
- التنوير .. رؤية إسلامية .
- دفاعًا عن الإسلام والحرية .

**- ثانياً : أدب ونقد :**

- الغروب المستحيل .. سيرة كاتب ( محمد عبد الحليم عبد الله ) .
- رائحة الحبيب ( مجموعة قصصية ) .
- الحب يأتي مصادفة ( رواية عن حرب رمضان ) .
- مدرسة البيان فى النثر الحديث .
- موسم البحث عن هويّة : دراسات فى الرواية والقصة .
- محمد صلى الله عليه وسلم فى الشعر العربى الحديث .
- القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث .
- الرواية التاريخية فى أدبنا الحديث : دراسة تطبيقية .
- الحداثة تعود .
- الورد والهالوك : شعراء السبعينيات فى مصر .
- لويس عوض : الأسطورة والحقيقة .
- الواقعية الإسلامية فى روايات نجيب الكيلانى .
- الرواية الإسلامية المعاصرة : دراسة تطبيقية .

**- ثالثاً : إعـلام :**

- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

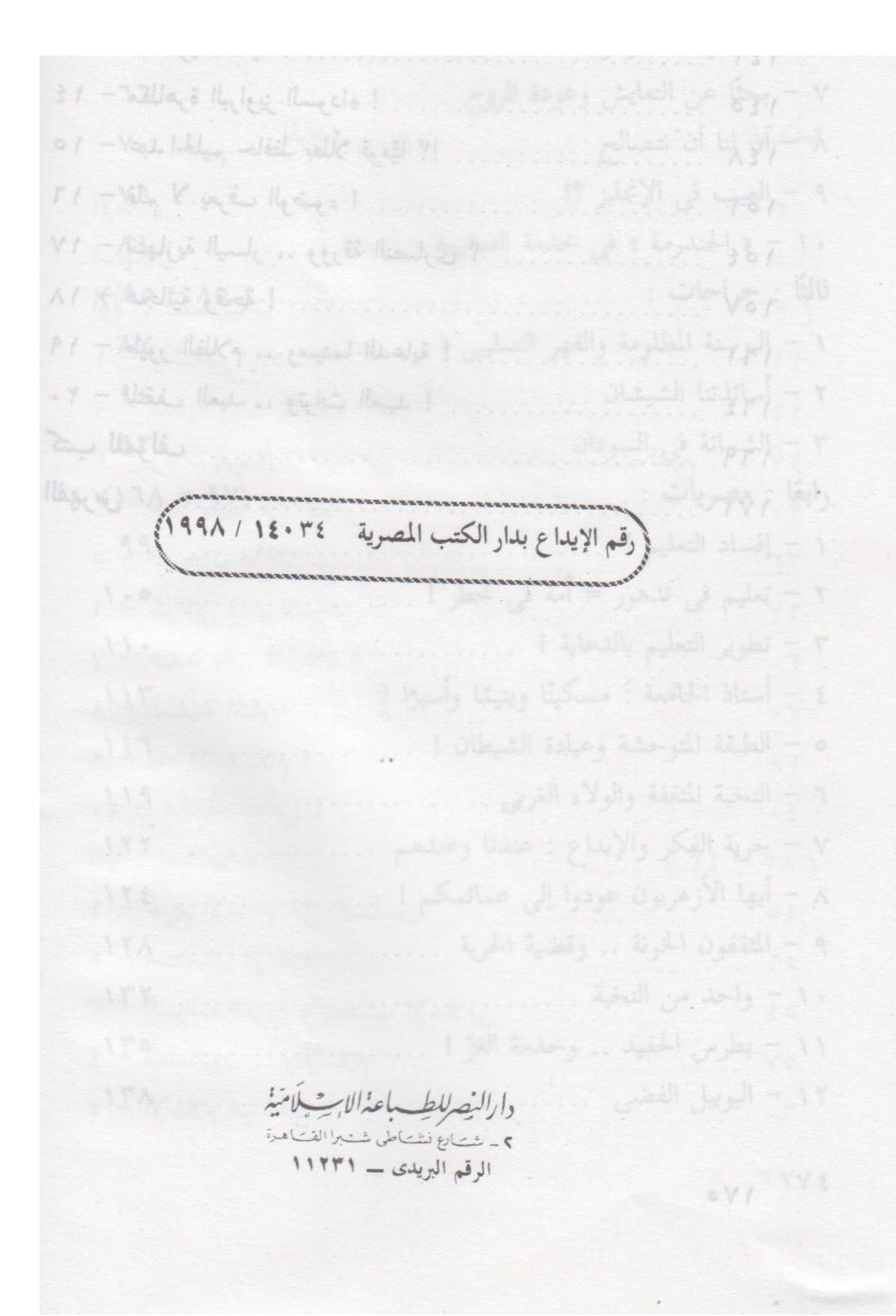
# فهرس الكتاب

الموضــــــوع — الصفحة

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضـــوع الصفحة

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٤٠٣٤ / ١٩٩٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١

## هذا الكتاب ....

فى هذا الكتاب يواصل الدكتور حلمى محمد القاعود مواجهة أعداء الإسلام فى الداخل والخارج ، وبجرأته المعهودة ؛ يكشف ما يجرى داخل الوطن ، وعلى امتداد العالم الإسلامى ، من مؤامرات تستهدف تقييد الإنسان المسلم ، وقهره ، وتحطيمه كى لا يعبّر عن هويّته ، أو يدافع عن نفسه ، أو يحافظ على كيانه وثرواته ، أو ينعم بحريته .

والكتاب بأسلوبه السهل الممتنع يحفل بالمعلومات ، والآراء المدعومة بالتحليل الثاقب ، والحجة الدامغة ، والرؤية الناضجة .

نسأل الله أن ينفع به .



دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة
هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس : ٣٥٤٦٠٣١
ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١